الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
-البويرة-
كلية الآداب واللغات
قسم اللّغة العربية وآدابها

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -
Faculté des Lettres et des Langues

المعالم النّفسيّة في اللّزوميات
أبي العلاء المعرّي

مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس في اللغة العربية وآدابها

إعداد الطالبتين:
- سعيدة العمري
- حياة ملوك

إشراف الأستاذة:
– نعيمة بن عالية

السنة الجامعية: 2014/2013

كلمة شكر

أشكر الله عزّ و جلّ على هذه النعمة الذي رزقني إياها

و النور الذي أنار به دربي

ثم والداي اللذان سهرا من اجلي

و كلمة شكر و عرفان إلى التي ساعدتني كثيرا

الأستاذة المحترمة "بن عالية نعيمة"

و الأستاذ القدير "العوفي"

وكل الأساتذة الذين درسوني في مساري الجامعي

إهداء

من قال فيهما الرحمان: "ارحمهما كما ربياني صغيرا" الإسراء24

إلى من أخذت بيدي و أنا أحبو و ساعدتني في الدعاب لما أصبو

إلى الشموع التي تضيئ حياتنا و تمنحنا السعادة و الأمان "أمي"

إلى رمز الأمان و الصمود إلى سندي في الوجود "أبي الغالي"

و أهدي ثمرة نجاحي إلى كل إخوتي و أخواتي

إلى أخي الصغير حفظه الله "أحمد عبد الله"

إلى كل من : يوسف ، محمد أمين ، عربية ، إسلام ، هبة ، أيوب حفظهم الله

أهدي كذلك هذا العمل المتوضع إلى رفيق دربي "محمد"

إلى صديقاتي "وهيبة – رانيا – سليمة – فضيلة – ريمة – عقيلة – حياة"

سعيدة

إهداء

من قال فيهما الرحمان: "ارحمهما كما ربياني صغيرا" الإسراء 24

إلى قرة عيني و حبيبتي "أمي الغالية" أطال الله في عمرها

و إلى سندي في الحياة "أبي العزيز" حفظه الله لنا ورعاه

حياة

مقدمة

مقدمة:

يزدهر الأدب بالنقد و يتطور النقد بكثرة الإبداعات الأدبية، فهذه الثنائية هي التي تكون وراء التطور العلمي، وهذا الأخير بدوره يوجه النقد الأدبي نحو المضامين.

وقد كانت هناك علاقة وطيدة بين النّفس و الأدب، وقد أسهم علم النفس في اكتشاف الكثير من الأشياء الخفية الموجودة في نفسية الإنسان المبدع من خلال تفكيك شفرة النص و ذلك من اجل فهم التجربة الأدبية.

وكانت سبب اختياري لهذا الموضوع من داعي الفضول و حب التعرف على هذه الشخصية التي ينعتها الكثيرون بصفات غير محببة إلى نفسية الإنسان كالتشاؤم والإلحاد، و قد وقف البحث على إشكالية مفادها:

أنّ سبب تشاؤمه يعود فقط إلى عماه، لأن هذا الأخير كان له التأثير الأعظم على نفسيته؟ **فما مدى صحة هذه المقولة؟**

و قوله:

هَذَا جَنَاهُ أَبِي عَلَيَّ وَ مَا جَنَيتُ عَلَى أَحَدٍ

فما مدى تأثير هذا التفكير على مسار حياته؟

و للإجابة على هذه التساؤلات كان لا بد الاستعانة ببعض المصادر التي تساعدني في اكتشاف شخصية أبي العلاء الغامضة، فكانت اولى هذه المصادر كتابات طه حسين "تجديد ذكرى أبي العلاء" و أيضا كتاب العقاد "الأدب و النقد" المجلد الرابع والعشرين و" ديوان اللزوميات" لأبي العلاء المعري الذي قام يتحريره وشرح تعابيره وأغراضه كمال اليازجي، و كتاب أوب العلاء و لزومياته، كمال اليازجي، ومن العراقيل التي تواجه الباحث في دراسته عدم توفر المصادر الأساسية التي تتعرض لهذه الدراسة بتعمق مثل دراسات أمين الخولي .

ومن اجل تحقيق هذا قمت بتقسيم بحثي إلى فصلين يستبقهما التمهيد.

أما التمهيد فهو عبارة عن تعريف بشخصية أبي العلاء و ثقافته و أهم اعماله ومؤلفاته.

ثم يليه الفصل الأول الذي يحمل عنوان "اللزوميات" و قد قسم هذا الفصل إلى ثلاث مباحث: تحدث المبحث الاول عن التعريف العروضي للزوم و ما لا يلزم وتحدث المبحث الثاني عن التعريف العلائي للزوم و ما لا يلزم، أما المبحث الثالث تناولنا فيه أسلوب المعري.

أما الفصل الثاني الذي عنوانه "دراسة نفسية في لزوميات أبي علاء المعري" وعالجنا فيه دراسة نفسية في لزوميات أبي العلاء و الذي يعتبر إجابة إلى حد ما عن الإشكالية من خلال تقسيم هذا الفصل إلى ثلاث مباحث:

حيث تناول المبحث الأول تأثير المجتمع على نفسية أبي العلاء المعري من خلاله انه يمكن أن تنفي المقولة المعتادة بأن العمى فقط هو السبب الوحيد في جعله يبتعد عن الناس و يجعله متشائما في الحياة.

تناول المبحث الثاني تأثير العمى على نفسيته إذ أن المكفوف يحس بالنقص دائما وهذا ما يجعله يحتاج إلى غيره.

وتضمن المبحث الثالث رأي المعري في المرأة و فيه ظهرت آراء المعري المتناقضة، فأحيانا يدافع عن المرأة و حرياتها و أخرى يجعلها شقاءا في سبب البشرية و ينعتها بكل الصفات السيئة.

وفي خاتمة البحث تم استخلاص بعض النتائج المتوصل إليها

تمهيد

تمهيد:

عرف العصر العباسي بشخصياته وشعرائه البارزين، ففي يوم الجمعة الثامن والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وستين وثلاثمائة للهجرة، وسنة ثلاث وسبعين وتسعمائة للميلاد وقبل مغيب الشمس بقليل ولد في معرة النعمان طفل استقبل الوجود لا يحسه ولا يشعر به، ولا يعرف ما أضمرت له الأيام من خير أو شر، ومن سعادة أو شقاء، من رفعة قدر أو خمول ذكر، استقبل الوجود فما أحس مقدمه إلى هذه الحياة إلا أهله الأقربون، وما نحسب أنهم اختلفوا بقدومه عليهم أكثر مما يحتفلون بقدوم طفل ولد لرجل من أوساط الناس، وهو الرجل العظيم أبي العلاء المعري.[1]

هو أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان بن داوود بن المظهر بن ربيعة بن الحارث بن أرقم بن أنور بن أحشم بن النعمان ويقال الساطع الجمال رهن المحبسين بن عدي بن عبد غطفان بن عمرو بن بريح بن جزيمة بن تيم الله بن أسد بن وبرة بن ثعلب بن حلوان بن عمران بن إلحاق بن قضاعة.[2]

ولد المعري في أسرة عريقة القدم يمتد أصلها إلى نبعة تنوخ.[3]

---

[1]– طه حسين: أبو العلاء المعري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، مج10، 1974، ص120.

[2]– تغريد زعيمان: الآراء الفلسفية عند أبي العلاء وعمر الخيام، الدار الثقافية، للنشر، القاهرة، ط1، 2003، ص121.

[3]– ينظر: حنا الفاخوري: تاريخ الأدب العربي، بيروت، لبنان، ط10، 1980، ص681.

اختلفت الآراء حول نسب أبي العلاء حيث قيل أنه ينتسب إلى قضاعة وهي قبيلة متشبعة ومعرّفة منذ العصر الجاهلي والإسلامي، وهناك من يقول أنه ينتهي إلى معد بن عدنان وهناك من يرتقي بها إلى قحطان حيث نجد أن العقاد يقول أنه مولود على مدرجة الصقالية والروم، ومنطلقه في ذلك قول أبي العلاء:

لَا يَفخَرَنَّ الهَاشِم عَلَى امرِئ مِن آلَ بَربَر
فَالحَق يَحلِفُ مَا عَلَى عِنْدَه إِلَّا كَقَنبَر[1]

عرف المعري بعزة نفسه وأخلاقه، حيث قال طه حسين أنه كان لا يحب اسمه وكنيته فقال بأنه من المين أن يشتق اسمه من الحمد وكنيته من العلو، وإنما من المنطق أن يشتق اسمه من الذم ومنيته من السقوط.

حيث يقول في اسمه: " أحمد":

وَأَحمَدُ سَمَّانِي كَبِيرِي، وقَلَّمَا فَعلْتُ سِوَى مَا أَستَحِقُ بِهِ الذَّم[2]

أما بالنسبة لإبى كنيته " أبو العلاء" يقول:

دُعِيتُ أَبَا العَلَاء وذَاكَ مَيْن ولَكِن الصَحِيح أَبَا النُّزُول

وإضافة إلى اسمه وكنيته، نجده قد اختار لنفسه لقبا آخر هو " رهن المحبسين" وكان ذلك بعد عودته من بغداد واعتزاله الناس، وقد ذكر سجونه في ديوانه اللزوميات قال:

أَرَانِي فِي الثَّلَاثة مِن سُجُونِي فَلَا تَسْأَل عَنْ الحَنبَر النَّبِيب
لفِقْدِي نَاظِرِي وَلُزُومِ بَيْتِي وكَوْنِ النَّفْسِ فِي الجِسْمِ الخَبِيث[3]

لكنه ولسوء الحظ لم تمض عليه ثلاث سنوات، حتى أصيب بمرض خبيث يدعى مرض الجدري، ولم يغادره إلا وقد وسم وجهه بسمات قبحة وختم عينه بخاتم العمى إلا أن ذلك المرض لم يبعده عن طلب العلم وتحصيل الشهرة، تلقى الغلام مبادئ العلم على يد أبيه في المعرة فاطلع على أسرار اللغة والنحو، حيث حمل عصاه وراح يجوب

[1]– عباس محمود العقاد : رجعة أبي العلاء المعري، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، صيدا، ص65–66.

[2]– طه حسين: أبو العلاء المعري، حياته وشعره، دار النفيس، ص05.

[3]– المرجع نفسه، ص06.

البلاد ينشد ضالته حيث رفع سيف الدولة الحمداني لواء النهضة الثقافية، ثم رحل إلى أنطاكية ومر باللاذقية ثم انتقل إلى طرابلس والشام.[1]

بدأ المعري حياته الأدبية شاعر متكسبا ثم سافر سنة ثلاثمائة وتسعة وتسعون للهجرة سنة ألف وتسعا(1009) للميلاد إلى بغداد، فلم يلق هناك نجاحا فعاد إلى المعرة غاضبا ناقما، وقبل أن يصل إلى المعرة توفيت والدته، فزاد ذلك في سوء حالته وفي نقمته فاعتزل في بيته منقطعا إلا للإزدياد من العلم وإلى إلقاء العلم على الذين يقصدونه لذلك، وعاش المعري بقية حياته زاهدا في الدنيا.[2]

وقد أثارت عبقرية المعري حسد الحاسدين فمنهم من زعم أنه قرمطي ومنهم من زعم أنه درزي، وآخرون قالوا أنه ملحد ورووا أشعارا اصطنعوا البغضاء وأساءوا تأويل البعض الآخر، غير أن الأدباء والعلماء من وقفوا على حقيقة عبقريته وأثبتوا أن ما قيل من شعر لا يدل على إلحاده وطعنه في الديانات، إنما رس عليه وألحق بديوانه وممن وقف على صدق نيته وسلامته وعبقريته، الصاحب كمال الدين ابن العديم،حيث ألف هذا الأخير كتابا أسماه " العدل والتحري في دفع الظلم والتحدي عن أبي العلاء المعري" فمنهم من وضع على لسانه أقوال الملحدة ومنهم من حمل كلامه على غير المعنى الذي قصده، فجعلوا محاسنهم عيوبا وحسناته عيوبا ذنوبا والإسلام وحرفوا كلامه عن مواضعه وأوقعوه في غير مواقعه.[3]

إن درجة ذكاء وحفظ الإنسان العادي والأعمى مختلفة، فمهما كان فالإنسان البصير يشتت بصره، يرى الأشياء القريبة والبعيدة على عكس العميان ليس لهم من سبيل إلى الحفظ، لذلك نجد الأعمى يحفظ الأشياء بشكل مدهش كي يستطيع التأقلم بما يحيط به، إذ نجدهم يحفظون موضع الأشياء، الطرقات حتى أصوات الناس، إذ أنه قادر

---

[1]- ينظر: حنا الفاخوري: تاريخ الأدب العربي، ص682.

[2]- عمر فرخ : تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ج3، ص124.

[3]- نادر موسى: أجمل قصائد أبو العلاء المعري، دار النثراء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2007، ص11.

على أن يتعرف على شخص من خلال صوته، ولا نجد من يساعد الأعمى إلا عصاه.[1]

أَعْمَى البَصِيرَة لَا يَهْدِيه نَاظِرُه إِذْ كُل أَعْمَى لَدَيهِ مَنْ عَصَا هَادِ

إلى أن يقول:

وَالعَصَا للضَّرِيرِ خَيرٌ مِن القَا ئِدِ فِيه الفُجُور والعِصْيَان[2]

وتتكلم روايات عن مدى حفظه العجيب، وهذا ابن القارح يشهد له ويفضله عن أشياخه قال:" والعجب العجيب، والنادر الغريب حفظه... أسماء الرجال والمنثور كحفظ غيره من الأذكياء المبرزين المنظوم، وهذا سهل بالقول صعب بالفعل".

قال الذهبي وقالوا أن هناك عداوة بينه وبين المعري، إلا أننا نجده قد شهد له بحفظه ويقال انه كان يحفظ ما يمر بسمعه كان عجبا من الذكاء المفرط والإطلاع الباهر على الّغة وشواهدها"، وهذه الرواية أوثق من كل الروايات ما رواه ابن العديم في " العدل" إذ أن بعضهم سأل أبا العلاء عن حفظه فأجابه بقوله:

" ما سمعت شيئا إلا حفظته، وما حفظت شيئا فنسيته".

على الرغم من أنه نشأ في بيت علم وقضاء، إلا أنه تحدى عاهدته وراح يطلب العلم يستزيد من المعرفة، كان أبوه أول معلم له، إذ أخذ على يده النحو واللغة والحديث أما غايته الأولى كانت في اللغة والنحو والأدب، حيث روى لنا ابن العريم عن تلميذه الشيريزي أنه قال:" ما عرف أن العرب نطقت بكلمة ولم يعرفها المعري"[3]

قام في حياته برحلات كثيرة، باحثا عن العلم والمعرفة متحديا كل العوائق فكانت رحلاته نقطة تحول لمجرى حياته إذ أحدثت تشتتا في آرائه، وهذا كانت نتيجة زهده في ملذات الحياة، وقد ذكر رحلته إلى حلب في قصيدة له في سقط الزند إلى أبي إبراهيم محمد بن إسحاق العلوي الحلبي يقول:

لَيتَ التَمثُّل عَنْ ذَرَاك حُلُول والسَّيرُ عَنْ حَلَب إِلَيكَ رَحِيلُ

---

[1]- عبد العزيز الميمني الراجكوني: أبو العلاء وما إليه ويليه رسالة الملائكة لأبي العلاء المعري، دار المتاب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص32.

[2]- المرجع نفسه، ص35-36-42.

[3]ينظر: الميمني الراكجوتي: أبو العلاء ونا إليه، ص44.

وقد أخذ العلم هناك على يد محمد بن عبد الله بن سعد النحوي بحلب وغيرهما من بني كوثر وأصحاب ابن خاله ومنه أبو القاسم المبارك بن عبد العزيز صديق النكني الذي بعث إليه أبو العلاء الرسالة الثامنة والعشرين وكان بحلب عند أخواله من آل سبيكة.[1]
أثناء تواجده في بغداد وصله خبر مرض أمه، فعزم العودة، لكن الموت كان أسبق منه إليها وأسرع، حيث أن والدته توفيت حين تواجده في الطريق إلى المعرة، فكتب له أن لا يراها وأصابه حزن شديد عليها وكيف وهو الإبن البار.[2]

إن المزاج الفلسفي لأبي العلاء كان مختلفا متباينا بقدر ما بين مصادره من التباين والاختلاف ولسنا في حاجة إلى أن تنص على أن الكلام والتصوف من مصادر الفلسفة العلائية، فقد قدمنا أن كلا العلمين إمتزاجا ائتلف من الفلسفة اليونانية وأصول الإسلام.

تناول أبو العلاء بفلسفته ما تناول غيره من الفلاسفة، فبحث عن العالم وما فيه، وبحث عما وراء المادة، وبحث عن السياسة والأخلاق وأطور الاجتماع، وقد نرى المسلمين يقسمون الفلسفة إلى أربعة أقسام:

الفلسفة الطبيعية أو العلم الأدنى، الفلسفة الرياضية أو العلم الأوسط، الفلسفة الإلاهية و العلم الأعلى، والفلسفة العلمية.[3]

إن المواهب النظرية الفطرية الفريدة التي أوتيها أبو العلاء والعلوم الواسعة التي حصلها بجده واجتهاده، وعماه الذي أبعد عن تشتت الباصرة وعزلته التي مكنته من التوفر على التأليف، كل ذلك أتاح له أن يبرز إلى حيّز الوجود تآليف كثيرة قد تبلغ السبعين ما بين منثور ومنظوم تتناول مواضيع مختلفة من أدب ولغة وفلسفة ودين واجتماع وما إلى ذلك، ومن أهم تلك الآثار في الشعر نجد: سقط الزند والدرعيات ، أما بالنسبة للنثر فنجد:رسائل أبي العلاء رسالة الغفران ورسالة ملقى السبيل...[4]

---

[1]- المرجع السابق، ص49.

[2]- كمال اليازجي: أبو العلاء ولزومياته، دار الجبل، بيروت، ط2، 1997، ص43-45.

[3]- أبو العلاء، ديوان لزوم ما لا يلزم في العظة والزهد وذم الدنيا، تحقيق كمال اليازجي، دار الجبل بيروت، د ط، مج1، 2001، ص91.

[4]- ينظر : حنا الفاخوري: تاريخ الأدب العربي، ص274.

لم يكن نفكيره في العزلة وليدة حالة ما، إنما كان التخطيط لها زهاء سنين عاشها في المعرة وبغداد والباعث الحقيقي هو الرغبة وحدها في الاعتزال بالإضافة إلى الظروف المحيطة به، فيقول في رسالته إلى أهل المعرة:" هذا كتاب إلى السكن المريح المقيم بالمعرة، شملهم الله بالسعادة، من أحمد بن عبد الله بن سليمان حصّ من عرفه وداناه سلّم الله الجماعة ولا أسلمها، ولمّ شعثها ولا آلمها، فهذه مناجاتي إياهم منصرفي عن العراق، مجتمع أهل الجدل ومواطن بقية السلف، بعد أن قضيت الحداثة فانقضت وودعت الشبيبة فمضت، وجلبت الدهر أشطره، وجريت خيره وشره، فوجدت أوقف ما أصنعه في أيام الحياة عزلة تجعلني من الناس كبارح الأروى من سائح النعام، وما ألوت نصيحة لنفسي ولا قصرت في اجتذاب المنفعة إلى حيّزي، فأجمعت على ذلك واستخرت الله فيه، بعد جلائهم على نفر يوثق بخصائلهم، فكلهم رآه حزما وعدّة إذا تم رشدًا"

وهو أمر ليس بنتيج الساعة ولا ريب الشهر والسّنة، ولكنه غذي الحقب المتقادمة وسليل الفكر الطويل.

وبادرت إلاعمهم ذلك، مخافة أن يتفضّل منهم بالنهوض إلى المنزل الجارية عادتي يسكناه ليلقاني فيها فيتعذر عليه، فأكون قد جمعت بين سميحين، سوء الأدب وسوء القطيعة، وربّ ملوم لا ذنب له والمثل السائر يقول:" خلّ أمر أما اختار"[1]

أما بالنسبة لوفاته حيث يقول المعري:

مّا بِاخْتِيارِي مِيلَادِي وَ لَا هَرَمِي وَلَا حَيَاتِي فَهَلْ لِي بَعْدَ تَخْبِير

وَلَا إِقَامِة إِلَّا عَنْ يَدِي قَدَر وَلَا مَسِيرَ إِذَا لَمْ تَقْضِ تَيسِير

خُلِقْتُ مِن الدَّنيَا وَعِشْتُ كَأَهْلَهَا أَجِدُّ كَمَا جَدّوا وأَلهُوا كَمَا أَلْهُوا

وَاَشْهَدُ بِالقَضَاء حَلْتُهَا وَأَرحَلُ عَنْهَا خَائِفًا أَتَأَلَّهُ

في أواخر أيامه انتابته الأمراض فرزح، ولم يقوى على إحتمال مرضه الأخير إلا ثلاثة أيام، وكانت وفاته يوم الجمعة في الثاني ربيع الأول سنة ألف وسبعة وخمسون

[1]– رسائل أبي العلاء ، ط القاهرة، ص34–36، ضمن عبد الله العلايلي، النعري ذلك المجهول، رحلة في فكره وعالمه النفسي، دار الجديد، ط3، بيروت، لبنان، 1995، ص20–22.

للميلاد، وكان قد أوصى أن لا يحتفل بدفنه ولا يصلى على جثمانه، ولكن ذويه ومريديه رأوا أن مخالفته أرضى بحقه.[1]

لكن الوصية التي يقول طح حسين أنها صحيحة لا شك فيها وهي أن يكتب على شاهد قبره:

هَذَا جَنَاهُ أَبِي عَلَيَّ وَمَا جَنِيتُ عَلَى أَحَدٍ[2]

[1]- ينظر: كمال اليازجي: أبو العلاء ولزومياته، ص75- 82.

[2]– طه حسين: تجديد ذكرى أبي العلاء، دار المكتاب اللبناني، بيروت، مج2، ط1، 1974، ص190.

الفصل الأول

1- التعريف العروضي للزوم وما لا يلزم:

أ- مفهوم القافية:

- لغـــــة: سميت بذلك لأنها تقفو الكلام، أي تأتي في آخره، وهي مفردة لجمع القوافي، ففي اللغة هي نهاية العنق.[1]

- اصطلاحا: اختلف العلماء في تحديد تعريفها، حيث ذهب الخليل بن أحمد الفراهيدي إلى قوله:" هي آخر البيت إلى أول ساكن يليه مع المتحرك الذي قبل الساكن"

أما الأخفش فقال:" هي آخر كلمة في البيت أجمع"، في يحن قال ثعلب شيخ علماء الكوفة بأنها" حرف الروي" وقال البعض البيت هو القافية، حيث قال آخرون أن القصيدة هي القافية، لكن مهما يكن فإن هذا الاختلاف لا يؤدي إلى فساد القول اللغوي، أما العلماء المتأخرين مالوا إلى القول برأي الخليل والأخفش، إذ يرى التبريزي أن الجيد من تلك الوجوه هو قول الخليل والأخفش ويضرب مثلا في قول أمرؤ القيس في وصفه فرسه في معلقته يقول:

وقَدْ أَغْتَدِي والطَير فِي وكَنَاتِهَا بِمُنجَـــرِدٍ قَيدِ الأَوَابِـد هَيكَلِ

مِكَـــرٍّ مِفـــرٍّ مُدِيـــر مَعًـــا كَجُلمُودِ صَخْر حطَّهُ مِن عَلِ[2]

والقافية هنا عند الخليل " من عل" أما الأخفش "عل" ويقول التبريزي فقسى هذا جميعه[3]

وتنقسم القوافي إلى نوعين من ناحية نهايتها الاصطلاحية[4]

1- قافية مطلقة: هي التي عرب حروفها الأخير مرفوع، مضروب، مجرور، أو يكون هاءا إما ساكنة أو متحركة.

---

[1]- الخطيب الثبريزي : الكافي في العروص والقوافي، تح: الحسَاني حسن عبد الله، ط4، مكتبة الخنجي، القاهرة، 2001، ص149.

[2]- المرجع نفسه، ص 150.

[3]- حميد آدم ثولِيني: علم العروض والقوافي، ط1، دار صفاء، عمان، 2004، ص230.

[4]- المرجع نفسه، ص230-231.

2- قافية مقيدة: هي قافية ساكنة، لا ينته حرفها الأخير بحركة أو صوت قصير، فلا يشبع الحرف الأخير بسبب تقيده بالسكون والقصر عن الحركة.

ب- لوازم القافية:

1- الروي:

- لغـــة: هو الحبل الذي يشد على الأعمال والأمتاع.

- اصطلاحا: وهو الحرف الذي يتسنى عليه القصيدة وينسب إليه فيقال: ميمية، واوية...الخ، أو هو أثبت حروف البيت، تتبني عليه المنظومات، يكون في أي حرف من حروف المعجم عدا حروفا تضعف ولا تثبت كهاء الوقف، وهاءات التأنيث، إذا كان ما قبلها متحركا، والألف التي تلحق علما للتبنية مثل: خرجا، ذهبا، والواو التي تدل على الجمع، إذا كان ما قبلها مضموما مثل: أكلوا، فعلوا؟،...الخ، فإذا اتفق غير ما ذكر فهو شاذ مرفوض والروي له ثلاث منازل.[1]

يكون آخر حرف في الشعر المقيد، ولا ينكسر هذا القياس في رأي المتقدمين، ويكون بينه وبين انقضاء البيت حرف أو حرفان في الشعر المطلق، فالذي بين رويه وبين انقضاء وزنه حرف واحد فإنما تجيء بعد رويّه الصلة لا غير، وتكون أحد أربعة أحرف وتكون الأحرف: الواو والألف، الياء والهاء، أما الذي يقع بعد رويّه حرفان: فهو ما تحرك هاء وصله فلزمها الخروج كقوله:

فِي لَيلَةٍ لَا نَرَى بِهَا أَحَدًا يَحْكِي عَلَينَا إِلَّا كَوكَبَهَا[2]

فالياء : روي، الهاء، وصل، الألف الخروج.

2- **التأسيس:** هو ألف بينها وبين حرف الروي حرف يسمى الدخيل يقول ذي الرّمة.

خَلِيلِي عُوجَا مِن صُــدُور الرّوَاحــل لَو عَسَاء حُرُوفِي جُروَى فابكِيَا فِي المَنَازِلِ

فالألف التي قبل الزّاي تأسيس، والزّاي الحرف الفاصل بين حرف التأسيس، واللام حرف الروي، وقد يكون من كلمة الروي، أو من غيرها فيما إذا كان حرف الروي ضميرا أو بعض الضمير فمثاله من الكلمة ما تقدّم من قول الشاعر في المثال السابق، وليس من شروط التأسيس إلتزامه كما يلتزم الروي مثلا.

---

[1]- ينظر" حميد آدم ثويني : المرجع نفسه، ص232.

[2]- الديوان، ص16.

أَلَا يَا دِيَارَا الحَيِّ بالأَخْضَر اسلمِي ولَيْسَ عَلَى الأيَّام والدّهْرُ سَالِمُ[1].

فالألف : "سالم"، اللام: دخيل، الميم: روّي.

لألف التأسيس ضربان أحدهما أن يكون هو والروي من الكلمة نفسها كألف :"كامل وماجد" أو يكون الروي ضميرا متصلا فيجري الكلمة الأصلية كالكاف في " دارك" والآخر أن تكون الألف من كلمة والروي من كلمة أخرى.

ج- الـــــردف:

- لغـــــة: هو ردف راكب على دابة راكب، فهو راكب يليه راكب آخر.[2]

- اصطلاحا: هو حرف مد قبل الروي، إذا كان ألفا التزم الألف، وإن كان واوا أو ياء جاز التبادل بينهما وللردف ثلاث منازل: إما أن يكون بينه وبين انقضاء البيت حرف واحد وذلك في الشعر المقيد يقول طرفة:

وَجَامـــــِلِ خَوَّعَ نَيبِـــهِ زَجرُ المُعَلَّى أُصُلًا والمَنِيحُ

فالياء في " المنيح" ردف.

أو أن يكون بين الردف وبين انقضاء البيت حرفان، وذلك في الشعر المطلق الذي لا خروج له كقول الشاعر:

تقوه أيهـــا الفتيان انـــي رأيت الله قد غلب الجدود

وان يكون بينه وبين انقضاء البيت ثلاث احرف وذلك في الشعر الذي لا خروج له ولا يقبل خروجه من الهاء المتحركة كقول الشاعر:

فَلَمْ تُبدِلِي بَأسًا وَفِي البَأْسِ رَاحَة وَلَمْ تُبْدِلِي جُودًا فَيَنتَفعُ جُودُهَا

يجوز أن يكون الردف ولروي من كلمة واحدة، ويجوز أن يكون من كلمتين لا اختلاف في ذلك بين المتكلمين في هذه الأشياء.[3]

---

[1]- الديوان، ص20.

[2]- ينظر: حميد آدم ثويني: ص235، ديوان لزوم ما لا يلزم، ص16-17.

[3]- المرجع نفسه، ص234، ديوان لزوم ما لا يلزم، ص19-20.

د- الوصـــــل:

- لغـــــة: الاتصال والاستطالة.

- اصطلاحا: هو اتصال حركة الروي بإشباع حركته القصيرة إلى صوت طويل يجانس الحركة، أو هو حرف لين ناشئ من إشباع أو إشباع حرف الروي أو الهاء التي تلي الروي وهي أربعة أحرف: الألف، الواو، الياء والهاء والألف، فلهن منزلة واحدة يكنّ في آخر البيت، وطالما حذفن في الوقف مثلا الواو في قول الشاعر:

أَرَى كُلَّ قَومٍ قَارَبُوا قَيدَ فَحلِهِم ونَحنُ خَلَعْنَا قَيدَهُ فَهُو سَارِبُ[1]

و- الخـــــروج:

- لغـــــة: سمي خروجا لأنه يبرز فيتجاوز الوصل الذي يتبع الروي.

- اصطلاحا: هو حرف مد ناشئ عن إشباع هاء الوصل فتكون إما واوا أو ألفا، أو ياءا، كقول ذي النجم:

فَانقَضَّ مِثلَ النَّجمِ فِي سَمَائِه رجْمٌ بِهِ الشيطَانُ فِي ظَلْمَائِهِ[2]

هـ- الدخيـــــل:

- لغـــــة: هو الذي يأتي إلى مكان ليس له أصلا، قصد الحماية من خطر، قال ذي الرمة:

لَعَلّ انْحِدَارَ الدّمْعِ يَعْقِبُ رَاحَةً مِنْ الوَجْدِ أَوْ يَشْفِي نَجيّ البَلَابِلِ[3]

- اصطلاحا: يكون بين حرف التأسيس وحرف الروي، أي هو دخيل في القافية وفي البيت الشعري لذي الرمّة نجد: الوجد: الحزن، هو ما تحدث به عن النفس، البلابل: الهموم.

الباء: دخيل، الألف: تأسيس، اللام: حرف الروي، وحرف الدخيل يكون متحركا دائما.

حيث جمعت مسميات حروف القافية بالبيت الشعري الآتي:

رَويٌّ، ووصْلٌ، والخرُوجُ، ورَدفَةٌ ومِنْ قَبْلِهِ التَّأسِيسُ ثُمّ دَخِيلُ

حركات حروف القوافي: هي ستة مسميات: النفاذ، الحذر، الرس، الإشباع، التوجيه.

---

[1]- الديوان، ص19.

[2]- ينظر: ديوان لزوم ما لا يلزم، ص22-24.

[3]- ينظر: حميد آدم ثويني، ص236.

حدود القوافي:

- المتكاوس: بعد السين(أربعة أحرف).
- المتراكب: بعد الباء(ثلاثة أحرف).
- المترادف: والفاء هو الساكن إذا وقف عليه وعلى الذي سبقه.
- المتدارك: بعد الكاف(حرفان متحركان).
- المتواتر: بعد حرف الراء(حرف واحد).[1]

2- عيوب القافية:

ذكرت خمسة أحرف، وهذه الأحرف لهن إثنتا عشرة منزلة، للروي ثلاث، وللردف ثلاث، وللتأسيس ثلاث، أما للوصل وللخروج واحدة.[2]

أما بالنسبة لعيوبها نجد:

أ- الإقـــــواء:

- لغـــــة: فتل الفاتل الحبل فأقواه ، أي ثبت قوة مع قوته.
- اصطلاحا: اختلاف الروي في قصيدة واحدة، وهو أن يجيء بيت مرفوعا وآخر مجرورا.

قال النابغة:

آمِنْ آلِ ميّة رَائحٌ أَو مُغتَدِي عَجْلَانَ ذَا زَادٍ وغَيــرَ مُزوَّدِ
زَعَمَ البَوارِحُ أَنَّ رِحْلَتَنَا غَـدَا وبِذاكَ خَبّرَنَا الغُرَابُ الأَسْوَدُ[3]

إذا كان مع المرفوع أو المجرور منصوب سمي إصرافا، هكذا أورده أبو العلاء في قوله: " بنيت على الإيطاء سالمة من الإحتواء والإكفاء والإصراف، وقال الإصراف من يرفضه بالنصب".

ويوجد من يجيز هذا الأمر في حين يوجد هناك من يرفضه.[4]

---

[1]- المرجع نفسه، ص236-241.

[2]- ينظر: ديوان لزوم ما لا يلزم، ص22.

[3]- المرجع نفسه، ثويني، ص242.

[4]- ينظر: التبريزي: ص160-170.

ب- الإيطاء:

- لغـــــــة: أن يطأ المرء في طريقه على أثر قد وطء فيعيد هو الوطء على الموضوع ذاته.

- اصطلاحا: تكرار القافية في قصيدة واحدة كالضبي وضبي، فإذا كانا بمعنيين لم يكن إيطاء نحو:

ضبي نكرة والضبي معرفة، وراح بمعنى الفعل، وذهب بمعنى الجوهر.[1]

ج- السّناد:

- لغـــة: أسندت حاجة إلى حاجة، أي إذا حملته وأضفته عليه.

- اصطلاحا: اختلاف ما يراعى قبل الروي من الحروف والحركات.[2]

وللسناد أنواع وهي:

1- سناد التأسيس: هو تأسيس قافية وإهمال أخرى:

قال العجّاج:

يَا دَارَ ياسَلمَى ثمَ اسْلِمِي بِسِمْسِمْ وعَن يَمِينِ سِمْسِمْ

2- سناد الردف: هو إرداف وإهمال أخرى في قول الحطيئة:

إِلَى الرُّومِ والأَحبُوشِ حَتّى تَنَـاوَلَا بِايدِيهِمَا مَالُ المَرَازِبة الغُـــلْفِ

وبِالطُّوفِ نَالَا خَير مَا نَالَه الفَتَى ومَا المَرءِ إِلَّا بِالتَقَلُّبِ والطُّوفِ[3]

د- التضمين:

سميت بهذا الاسم لأنها ضمنت البيت الثاني معنى الأول، لأن الأول يكمّل بالثاني والتضمين هو أن تتعلق قافية البيت الأول بالبيت الثاني:

قال النابغة:

وَهُمْ وَرَدُوا الجِفَارَ عَلَى تَمِيم وَهُمْ أَصْحَابُ يَومِ عُكاظَ أَنِّي

شَهِدتُ لَهُم مَـوَارِدَ صَادِقَات شَهِدْتُ لَهُمْ بِصِدقِ الوُدِّ مِنِّي

---

[1]- ينظر: حميد ثويني، علم العروض والقوافي، ص243..

[2]- ينظر: ديوان لزوم ما لا يلزم، ص23.

[3]- ينظر: التبريزي: ص166.

وهناك نوع آخر من التضمين إذ يكون في البيت الأول، يدل على جمل غامضة في حين يرد تفسير تلك الجمل في البيت الثاني، فيكون الثاني يقتضي الأول كاقتضاء أمرئ القيس:

وَتُعرَفُ فِيهِ مِنْ أَبِيهِ شَمَائِلا ومِنْ خَالِهِ ومَنْ يَزِيد ومِن حُجُر

سَمَاحَــة ذَا وبرّ ذَا ووفَاءَ ذَا ونَائِلَ ذَا إذَا صَحَا وإِذَا سَكـــرِ

فالثاني ليس عكس الأول الذي يعتبر عيبا.[1]

[1]– المرجع السابق، ص167.

2- تعريف أبي العلاء لكتاب " لزوم ما لا يلزم":

يقول أبو العلاء في تعريفه للزوم وما لا يلزم، كأن ذلك أن أنشأت أبنية أوزان، توخيت فيها صدق الكلمة ونزهتها عن الكذب ولا أزعمها كالسّمط المتّخذ، وأرجو أن لا تحسب من السُّمط، فمنها ما هو تمجيد لله الذي هو غالي عن التمجيد، ووضع المنن في كل جيد، وبعضها تذكير للناسين، وتنبيه لرقد الغافلين، وتحذير من الدنيا الكبرى التي عبثت بالأول، واستجيب فيها دعوة جرول إذ قال لأمه:

جَزَاكِ اللّهُ شَرًّا منْ عَجُوز ولقَّاكِ العُقُوق مِن البَنِينَا[1]

وهي لا تسمح لهم بالحقوق، وهم يباكرونها بالعقوق، وإنما وصفت أشياء من العظة وأفانين على ما تسمح به العزيزة، فإن جاوزت المشترط إلى سواه، فإن الذي جاوزت إليه، قول عريّ من المني.[2]

وقد شرح هذه المقدمة العلايلي عبد الله وقال:" كان من الأقدار الخيّرة حياله، التي تحسبها مثل نواحي الخيل، والتي مدّته بمثل الأقراط المحتسبة، أنّه أنشأ مقطعات شعرية فيها طبيعة البناء أي الثابت، قصد فيها صِدق الكلمة ونزهها عن الكذب والعبث المتجني وهو لا يزعمها كالقلادة المستهوية.

ويرجو أن لا تحسب رصفا متراكما ضعيفا، أي من وحي ضعيف، فمنها ما هو تمجيد لله الذي شرف عن التمجيد ووضع المنن في كل حيد، وبعضها تذكير للناسين، وتنبيه لرقدة الغافلين، وتحذير من الدنيا البداد التَي هي كالناقة الشائخة، والتي عبثت بالأوائل واستجيب فيها دعوة جرول.(الحطيئة)

وهذه الدَنيا الشَائخة المتهرَئة، لا تمد لهم السماح ولو بمثل العنكبوت الواهنة ثباتا، وهم يقبلون عليها في يد نشطة الفتيَة من الإبل، والقدر من ورائهم كالفرس العقوق الحامل.[3]

يريدنا أن نعرف أو نعلم بأنه ساق أشياء من العظة، ورسم أفانين مختلطة من جرى أفراس الأقدار ونوق الحياة، قائلا في وصفها حيّة، أي زهادة متوجّعة، على مقتضى ما

---

[1]- الديوان، ص15-16.

[2]- المرجع نفسه، ص16.

[3]- عبد الله العلايلي: المعري ذلك المجهول، ص100-101.

تسمح به العزيزة الجاسئة، أي الجافية والقاسية والصعبة، التي عبّر عنها في بعض رسائله بقوله:

" إنسيّ الولادة، وحسّي العزيزة"[1]

يقول المعري فيما يخص كتابه" لزوم ما لا يلزم" وجمعت كلّه ذلك في كتاب لقبته بهذا، إذ أنه لزم قيودا لم تكن واجبة عليه، ومن ذلك اشتق اسم الديوان من هذه القيود ومعروف عن المعري أنه أخذ نفسه بهذه القوانين القاسية، فكان رهين روتين مثلما كان رهين محبسين، ولا يخفى ما في ذلك من إعجاب بالنفس، واعتداء بالمقدرة الشخصية ويبرهن أيضا على مقدرته في التلاعب باللّغة وامتلاكه إيّاها، يضيف عبد الله العلايلي بأن المعري إختار هذا الاسم لمجموعته الشعرية " منهاج المتوحد وتأملاته"

من أن اللزوميات تصف أفانين من مجاري الأقدار المنصبّة في أقنية من مجاري الحياة، حيث أشار المعري إلى ما لزمه مما لا يلزم فقال:" وقد تكلّفت في هذا التأليف ثلاث كلف: الأولى: أنه ينتظم حروف المعجم جميعها.

الثانية: أن يجيء رويه بالحركات الثالث، وبالسكون بعد ذلك.

الثالثة: أن لزم مع كل روي شيئا لا يلزم من ياء أو تاء أو غير ذلك من الحروف.[2]

وقد أخذ المعري على الشعراء القدامى أمثال أمرئ القيس إذ قال أنه لم يذكر في قصائده شيء على الطاء والظاء والشّين والخاء، كذلك التابعة لم يعرف له شيء على الصاد، الطاء، الضاد، وأن البحتري لم ينظم شيئا على الخاء والغين والتاء، حيث اعتبر المعري هذا الأمر تقصيرا من أرباب الشعر، ودليلا على ضعفهم في صناعة النظم، لذلك أراد أن ينزّه ديوانه من مثل هذه العيوب.[3]

نظم أبو العلاء ديوانه " اللزوميات" على حد قول طه حسين في الطور الثالث من حياته، لكن لا يعرف تاريخ نظمه بشكل دقيق، إنما الرأي الأصح والأغلب أنه نظم في العزلة بعد عودته من بغداد، يقول بخصوص ديوان اللزوميات في كتابه " تجديد ذكرى أبي العلاء" لأنها إلى أن تكون كتابا فلسفيا أقرب منها من أن تكون ديوانا شعريا لان

[1]- عبد الله العلايلي : المعري ذلك المجهول، ص100-101.

[2]- المرجع نفسه، ص102-103.

[3]- ينظر: كمال اليازجي، أبو العلاء ولزومياته، ص166-167.

اللزوميات عملت في تكوين طائفة من الخصائص الأدبية لدى المعري فخضعت لصرامة قانونه الفلسفي.[1]

فهذا الديوان ضخم يحتوي على أحد عشرة ألف بيت كلّها فلسفة واعتبار ونقد للحياة، وقد ورد في صدر كتاب" لزوم ما لا يلزم" مقدمة تقع على نحو ثلاثين صفحة، أنشأها أبو العلاء بقلمه البليغ، وغايته الرئيسية هي بسط أصول العروض، والإشارة إلى عيوب النظم.[2]

روي عن القاضي أبي عبد الله محمد بن سندي القنسوي، انه سمع من أبيه هذا القول:" بينما أنا عند أبي العلاء المعري في الوقت الذي يملي فيه شعره المعروف بلزوم ما لا يلزم، فأملي في ليلة واحدة ألف بيت، كان يسكت زمانا ثم يملي قريبا من خمسمائة بيت، ثم يعود إلى الفكرة والعمل إلى أن كمّل العدّة المذكورة".[3]

أما فيما يخص لفظ: لزوم ما لا يلزم" فهو شعار أبي العلاء في جميع أطوار حياته بعد عودته من بغداد، فقد لزم أشياء، إما في حياته أو كتاباته إلتزاما لم يعرفها من قبل، إما نجده أنه التمس المشقة واحتمل المكروه، فألزم نفسه في اللزوميات أن تكون القافية على حرفين، أي أن يلتزم حرفا لو أسقطه كما كان متجاوزا قواعد القافية.[4]

لا يعتبر المعري هو السابق لهذا النوع من التكلف، إذ نجده ذكر في مقدمة اللزوميات أنه سبق إلى هذا الأمر، وقال اليازجي أن أبا العلاء ذكر في مقدمة كتابه اللزوميات أنه قد سبقه كثيّر عزة إلى هذا اللون فقال:

كُثَيِّرٌ أَنَا فِي حَرْفِي أَهبْتُ لَهُ في الثَّاءِ حَرفًا لَيسَ يَلْتَزِم[5]

هنا إشارة إلى أن كثيّر عزّة قد التزم في تائيته حرف اللام مع التاء، والقصيدة مطلعها:

خَلِيلِي هَذَا ربع عَزّة فَاعقِلَا فَلَو صيكُمَا ثمَّ حَيثُ حَلَّت[6]

---

[1]- طه حسين : تجديد ذكرى أبي العلاء، ص219-223.

[2]- ينظر: تغريد زعيمان: المرجع نفسه، ص186.

[3]- تغريد زعيمان: الآراء الفلسفية عند أبي العلاء المعري، ص187.

[4]- ينظر: طه حسين: تجديد ذكرى أبي العلاء، ص219.

[5]- كمال اليازجي: المرجع نفسه، ص233.

[6]- الديوان، ص180-181.

والدّارس المدّقق لديوان أبي العلاء يجد أنه قد التزم في حوالي عشرين قصيدة بأكثر من حرف مع الروي.[1]

يقول:

لَو كُنتُ يَعقوبَ طَير، كُنت أَرشدُ في مَسعَاكِ، مِن أُممٍ تُنمَى لِيَعْقُوبــَا

ضَلُّوا بِعجــلٍ مَصُوغٍ مِنْ شُنُوفِهـــم فاسْتَنكَروا مَسمَعًا للشَّنقِ مَثقُوبَــا

ولَن يَقــومَ مَسيـــحَ يَجمــعُونَ لــه وخلتُ واعِدَهم في الخُلقِ عُرْقُوبَا[2]

والتزم في قصائد أخرى إضافة إلى الروي وألف التأسيس الهمزة والصاد، حرفا مضاعفا مع الروي مثل: ترجّت، نجّت، شجّت.[3]

وكان له أن يلزم جيما واحدة مع التاء دون أن يخرج بما أخذ به نفسه (تحسبين تكسبين)، فقد التزم الباء والياء والنون، وذلك من لزوم حرف مع الروي المشدّد مثل: (العلوّ، حلوّ) وأمثلة كثيرة ألزم فيها المعري حروفا مع الروي، لكن كثرة القيود لم تحدث خللا في التركيب، وهذا دليل على براعته في صياغة الألفاظ وسعة حيلته في استعمالها وحسن توظيفها ووضعها في المكان المناسب.[4]

إلا أن المعري فاتته أشياء لم يلتزم بها، وكان من السهل أن يلتزمها على عكس ما ألزم به في كثير من قصائده:

1- عدم النظم على جميع البحور: من ذلك إغفاله عن ثلاثة وهم: المقتضب المحنث، المتدارك.

2- عدم التقيد بالتصريع: ومعروف عن العرب أن هذا العنصر عندما مستحسن، لكن المعري أغفله يقول:

لِكُلِّ حَالٍ سَجايَا وَالقَرِيضُ بِنَا لَا تَقْتَضِيكَ بِغَيرِ البَدء تَصرِيعَا[5]

---

[1]- المرجع السابق، ص181.

[2]- المرجع نفسه، ص182.

[3]-

[4]- كمال اليزجي: المرجع نفسه، ص234.

[5]- الديوان، ص62.

فالتصريع إذا واجب أو مستحب أن يكون في مطلع القصيدة، ولا يكون في آخر بيت إذ يقول:

وخَالَف نَاسٌ بِالسَّجَايَا لِيَشْهِرُوا كَمَا جُعِلَ التّصْرِيع في ختم القَصَائِد[1]

وهذه وفق المقولة التي تقول" خالف تعرف" إذ يختمون بالتصريع بدلا من أن يستهلوا به.

فمن الدراسة نستنتج أن عدد المقاطع المصرّعة في الديوان نحو "164" والديوان يحتوي على 1593 قطعة بين قصيدة ومقطوعة، ومن هذا نتوصل إلى أن المقاطع المصرّعة تمثل نسبة الواحد على العشرة، فإذا تطرقنا إلى عملية حسابية نجد حوالي 1429 قطعة غير مصرّعة.

3- عدم التقيّد بحركة الحرف الملتزم مع الروي: هذا الحكم ليس ينطبق على كل قصائده إلّا أنّه سقط في عدد غير يسير من القصائد مثل:(قُلِبَا، حلَبَا، الصُّلبَا) وفي (البَشَر، يَنْتَشِر، العشر)

4- تخفيف المشدّد الآخر في القافية الساكنة: كان عليه أن يتجنبها أي من المفروض الابتعاد عنها، لأن في الأصل القراءة تقتضي نبرة غير التي يقتضيها غير المشدّد مثل: خشب، قشب، يشب، هذه الكلمة أصلها مشدّد: يشّب.

5- التركيب في القافية: ورد لأبي العلاء في بعض قصائده قوافي كثيرة وقعت منها الحروف الملتزمة في لفظتين متواليتين لا في لفظة واحدة مثل:(جذابة، أذى به حجيها/ عج بها...)

6- الجمع بين الضمير والحرف في الروي: إذ أنه جمع بين الهاء والتاء المربوطة فأورد: التقت، صفت وأمثالها.[2]

يقول عبد الله العلايلي بشأن ديوان" لزوم ما لا يلزم" أي تسميته، يعني انتهى إلى أنه طوى في التسمية بـ:" لزوم ما لا يلزم" إلى جانب معناها البديعي معنيين آخرين هما:

- رهن المحبسين كما القافية رهينة روتين.

[1]- الديوان، ص63.

[2]- كمال اليازجي: المرجع نفسه، ص238.

– ما يسمى المناظرة بالإلزام والكسر على الخصم، وذلك يجعل أدلّته مدّعاة أو له تنقض مدعاه نفسه، ويكون مغزى التسمية لزوم ما يظن المخالفون أنه لا يلزممهم.[1]

أما أغراض الديوان ففي المقدمة يشتمل على أغراض كتمجيد الله، والتحذير والإرشاد والتماس الثواب، وتنويه الشعر عن المفاسد يقول" وقد وجدنا الشعراء توصلوا إلى تحسين المنطق بالكذب وهذا من القبائح، وزيّنوا ما تظموه بالغزل، وصفة النساء ونعوت الخيل والإبل، وأوصاف الخمر، ونسبوه إلى الجزالة بذكر الحروب، واحتلبوا أخلاق الفكر، وهم أهل مقام وحفظ في معنى ما يدعون أنهم يعانون من حثّ الركائب وقطع المفاوز ومراس الشقاء".[2]

أما عبر الديوان فتتمثل أغراضه في إظهار المقدرة اللغوية وانتقاد المجتمع وبسط آرائه الخاصة وإثبات سعة العلم، أما الصفة الغالية في ديوانه " اللزوميات" فهي التشاؤم من سوء الحياة لذا نلمس فيه روح الزّاهد الذي يكثر الحكم والعظات.[3]

[1]– عبد الله العلايلي : المعري ذلك المجهول، ص109–110.

[2]– ينظر: تغريد زعيمان: المرجع نفسه، ص187.

[3]– المرجع نفسه، ص221.

3- أسلوب أبي العلاء في ديوانه:

يقول اليازجي فيما يخص الخصائص اللفظية للزوميات:" لا يمثل أسلوب المعري في كلّ شعره، لأنّ الشعر الذي نظمه في شبابه (سقط الزند) قد جرى فيه على أسس الأقدمين معنى ومبنى، وأما الديوان الذي بين أيدينا فقد نسجه من خيوط النزاعات الخاصة التي طبعت شخصيته في عهد نضجه، أخصها التحرر من التقليد، توخي النهج الشخصي".[1]

أكثر أبو العلاء من استخدام الغريب من الألفاظ وذلك من أجل أن تخفى على الكثير من الناس أغراض الديوان، لم يكن يريد أو يحب أن يظهروا عليها، وهذا هو علّة حبه للرمز والإيماء وإيثار الألفاظ من الجافية للمعاني الغريبة.[2]

وهناك من قال بأن سبب ميل المعري إلى استعمال الرمز والإيماء هو ميله إلى إظهار قدرته اللغوية، حيث يقول كامل حمود أن هذه التفسيرات بعيدة عن الواقع، لأن المعري اختار بإرادته المجاز إذ يقول:

لَا تقيّدْ عَلَيّ لَفظِي فَإِننِّي مِثلُ غَيرِي تكلُّمِي بالمَجَاز[3]

ويردّ محمد سليم الجندي على هؤلاء الذين يقولون بأن المعري يكثر من استعمال الغريب فيقول:" ونحن لا ننكر وجود الغريب في كلامه، ولكن أكثر ما نراه غريباني عهدنا هذا لم يكن غريبا في عصر أبي العلاء لأننا في حكم الأعاجم، لا نعلم من الفصيح والمأنوس إلا النزر اليسير وأبو العلاء كان واسع الإطلاع والبحث على اللغة كثير لمفرداتها، فلم يرى غريبا كل ما نعده غريبا، ثم أنه يذكر اللفظ ثم يأتي بشيء من مشتقاته أو مرادفه أو ضده أو ما يناسبه أو يجانسه[4].

يقول أنيس المقدسي عن أبي العلاء أنه كان صريحا وله في لزومياته نقدا لاذعا بلغت به الصراحة أبعد مدى.[5]

---

[1]- ينظر: كمال اليازجي، المرجع نفسه، ص221.

[2]- ينظر: تغريد زعيمان: المرجع نفسه، ص189.

[3]- المرجع نفسه، ص189-190.

[4]- المرجع نفسه، ص191.

[5]- ينظر: تغريد زعيمان: المرجع نفسه، ص190.

إضافة إلى هذا لو كان يميل إلى استعمال الغريب لما وضع كما نشرح ديوانه " لزوم ما لا يلزم" ويرد على منتقديه مثل " راحة اللزوم" و" زجر النابح"، فقد وضعت كلها في ذلك العهد، وكثير من الأشياء نجد فيها طه حسين قد ظلم فيها المعري فقوله في كتابه ذكرى أبي العلاء:" أن أبا العلاء لم يكن يريد إظهار مقدرته اللغوية، إنما اعتنق هذا المذهب كي يكثر من الغريب ويخفي على كثير من الناس أغراض هذا الديوان". لكن هذا لا نجده عند المعري، ونعني ذلك تماما، فلو أراد ذلك فلما وضع شروحا لهذا الديوان يرد فيه بذلك على منتقديه، فقد وضعت كلها في ذلك العهد. [1]

[1]– ينظر: طه حسين: تجديد ذكرى أبي العلاء، ص221.

الفصل الثاني

1)- تأثير المجتمع على نفسية أبي العلاء:

نلاحظ في ديوان اللزوميات أن أبا العلاء لم يبتعد عن الناس، ولم ينقطع عنهم إذ يكتشف القارئ أنه قد عاش مع الناس و تأثر بهم و تأثروا به، لذلك فإن حصة الأسد في هذا الإتجاه أي ديوانه متجهة للنقد الإجتماعي و السياسي.

إن ما يلفت النظر أن ابا العلاء كثيرا ما يلزم الناس لأنهم مجبولون على الحقد وفساد الدين و الأخلاق، وقد ذم الدّنيا أيضا لأنها لم تمنحه فرصة أن يختار ما يريده فقد أوتي إليها كارها و عاش فيها كَارِهًا، و سيتركها كارها، حتى العالم العاقل لم يسلم منهم فإن حاول تغيير أخلاقم و نصحهم لا يستطيع يقول أبو العلاء:

سَأَخْرُجُ بالكَراهَة عن زَمَاني وفي كشحي مِنْ يَدِهِ قِطَـــاعُ
و مازالَ البَقَاءُ يُرَثُ حَيْلِـي إلى أنْ حَـــانَ لِلْمَرَسِ انْقِطَاع
فَلَا تَأْمَلْ من الدُّنيا صَلَاحًا فَذَاكَ هُـوَ الّذِي لا يُسْتَطَـاعُ[1]

إذ فسدت الحالة الاجتماعية في عصره و فسد معها الدين و الأخلاق، فكل يقتضي مصالحه على حساب الآخرين، لذلك قد يتبرأ من الذين لا يؤمنون بوحدانية الله يقول:

أرائيكَ فليغـــفرْ الله زلَّتِـــــي بِذاكَ و دِين العَالَمين رِءاء
وقَدْ يَخْلق الإنْسان ظنّ عشيره وإنْ رَاقَ مِنه مَنـظَر ورِءاء
إذَا قَومَنا لَمْ يَعبُدُوا الله وَحْـدَه يَنْصـــح فَإنَّا مِنهـــمُ برءاء[2]

وقد أثر المجتمع عليه و على نفسيته، من جراء ما يراه و ما يسمعه من كذب وافتراء إذا التبس الحق بالباطل، فالدين عند الناس رياء، لذلك فنحن لا نستحق نعم الله علينا يقول:

قَدْ حَجبَ النُّور و الضَّيَاء و إنَّما دِيننا ريَـــاء
وصَلِّي بِجُود الحَيَاء أُنَاسًا مُنطَويًا عَنهْم الحَيَاء
يا عَالِم السُّـــوء مَا عَلِمنَا أَنَّ مصلَيكَ أَتقِيَـــاء
لا يَكذبَنَّ امْرُؤ حَصـــولٌ مَا قِيل لله أَوليَـــاء
و يَا بِلادًا مَشَـــــى عَلَيْهَا أُولوُا افْتقاَر و أَغْنِيَاء

[1]-الديوان، ص30.

[2]- الديوان، مج2، ص50.

إذَا قَضَى الله بالمَخَازِي فكلُّ أَهْلِيك أشْقِيـــــــاء
كَم وعَظَ الوَاعِظُون مِنَّا وقَامَ فِي الأَرضِ أنْبِيـــاء
فانْصَرِفوا و البَاء بـاقٍ ولَمْ يزَلْ دَاؤُك العَيَـــــاء
حكْمَ جرى للمَليكِ فِينَـا أو نَحْنُ فِي الأَصْلِ أغْبِيَاء[1]

لماذا نريد و نرغب في الدنيا و هي التي لا تتم و لا تستقر على حال ، فهي كالبحر مرّة مضطربة و مرة هائجة ، و أخرى هادئة ، فيقدر ما تمنح الكثير، نخدع في لحظة ، لذلك زجرها و نعتها بالنقصان، و على ناسها أمراءًا كانوا أم ملوكا ام شعراء أم أناسا عاديين وصفهم بالحسد و الملك يقول:

طَال النَّواء و قَد أنَى لمَفاصلِي أنْ تَستبِّد بصَمِّها صحرَاؤُهَا
فتزت ولم تفتر لشـــرب مدامة بل للخطوب يفولها إسراؤهـا
ملّ المقام فكم أعاشر أمّـــة أمرت بغير صلاحها أمراؤها
ظلموا الرّعيّة واستجازوا كيدها فعدوا مصالحها وهم أجراءها[2]

وعن انتشار ظاهرة الجهل بين عامة الناس يقول:

وتفشّى دهماء تا الغيّ لما عطلت من وضوحها الدّهماء[3]

إن الإنسان لا يحقق في الحياة كل ما يريده، فرغبات النفس لا تتحقق، حيث قال أفلاطون:" المثل الأعلى يفرّ منا كلّما وصلنا إليه"، والإنسان لا يصل إلى ما يريده إلا وتأتي الأقدار لتخطفه وتحول بذلك الموت دون تحقيق الآمال، يقول:

نَرْجُوا الحَيَاةَ فْإن همَّتْ هَوَاجِسُها بالخَيرِ قال رجَاءُ النَّفْسِ إرْجَاءُ
ومَا نفِيقُ من السُّكرِ المُـحيطِ بِنَا إلَّا إذَا قيل: هذا المَوتُ قد جّاء[4]

[1]- الديوان، ص53.
[2]- الديوان، ص56
[3]- الديوان، ص58.
[4]- الديوان، ص61.

فالفائز في الحياة من له طعام يسيغه ورفثٌ يناله، يشقى المجد فيها، في حين يسعد المقيم الخامل، فالقدر دائما يوالي أوغاد الناس، حيث يقول:

دُنيَاكَ ماويَـــة لَهَا نُوب شتّى، سمـــاويَّة وأنْبَـــاءُ
أُفٍ لها، جلَّ ما يُفِيدُ بهـا مَنْ فازَ فِيهَا: الطَّعَامُ والبَاءُ
جُدَّ، مُقيمٍ، وخَابَ ذُو سفرٍ كأنَّه في الهـــجِيرِ حربَـاءُ
أُقْضِيةٌ لا تـــــزَال وارِدة تُحَارُ في كَونِهـا الألبَـــاءُ
قَامَ بَنُو القوْمِ في أَمَاكِنِهم وغُيِّبـــتْ في التُّراب آبَـــاءُ
وزَال عِزُّ الأَمِيرِ وافْتَرَقَتْ أحِبّـــاؤُه عَنْـــهُ والأحِبَّـاءُ
وكلُّ حِينِ حُوبٍ ومعصيةٌ زادتْهُمُا في الذُّنـوبِ حوْبَاءُ[1]

وكثيرا ما يذم الوعاظ لأنهم ينهون عن أشياء في حين هم الأوائل الذين يأتونها سرا فيقول:

رُويدُكَ قد غَرَرْتَ، وَأَنْتَ عِزٌّ بِصَاحِب حيلةٍ يَعِظُ النِّسَاءَ
يُحرِّمُ فِيكُم الصَّهْبَاءَ صبـحًا ويَشْرِبُها علـــى عمَدٍ مسَاءَ
تحَسَّاها: فمن مَزحٍ وصَـرفٍ يَعُلُّ كأنَّها وَرْدِ الحَســـنَاءَ
يَقُولَ لَكُم غَدَوتُ بِلَا كَسَـاءٍ وفي لَذَّاتِهَا رَهْنُ الكِســـاءَ
إِذَا فعَل الفَتَى مَاعَنهُ يَنْهَـى فمِن جهتينِ لا جهةٍ، أَسَاءَ[2]

يرى أن دناءة البشر وصلت حتى أن يكون الإبن عاقا لوالديه فيتبرؤون من آبائهم لأنهم في نظرهم سبب شقائهم، فالآباء يتفرجون منهم في حين يتنكرون لهم فيقول:

انْفَـــرَدَ الله بِسلـــــطَانِـــه خَنالَهُ فِي كلِّ حَـــال كَفَـــاءُ
مَا خَفِيَـــتْ قـدُرتُهُ عَـنكُم وهَلْ عَنْ ذِي رَشَـــادٍ خَـــفَاءُ
لَإِنْ ظَهرَت نَأْر كما خبـرّوا فِي كلِّ أَرضٍ، فعلَينَا لبعَفَـــاءُ
تَهوِي الثُّريا ويـــلِنُ الصَّـــفَا من قَبل أَنْ يُوجد أَهل الصَّفاءُ
قد فُقد الصّدق ومَاتَ الهُدى واسْتحسِنَ الغَـــدر وقلَّ الوَفـاءُ
واسْتشعر العَاقل فِي نُقمـــه إِنّ الرّدَى مـــمَّا عَنَاه الشّفـــاءُ

[1]- الديوان، ص57.
[2]- الديوان، ص61.

واعتَرَف الشّـــيخُ بأبْنـــائِه وكلُّهم يبذِرُ منـــه انتِقَـــاءُ
ربّهُم بالـــــرفقِ حـــــتّى إذا شبُّوا عن الوالِد منهُم جَفَاءُ[1]

إن المعري قام باستعمال تشبيهات كثيرة وتبدو رائعة حيث تُثبت مدى تأثير المجتمع على نفسيته، وهذا ما جعله ينفر من الناس والدنيا ويبتعد عنهما متمنيا بذلك الموت لأنها راحة بالنسبة إليه، لذلك آثرها على العيش مع أناس انحرفوا عن تعاليم الدين وطاعة الخالق ومن لذات الدنيا التي هي متاع وغرور وابتعاد عن ماهو صحيح حيث يقول:

علِمَ الإمَـــامُ، ولا أقُول يَظُنّه أنَّ الدُّعاة يسْعيهَـــا تتكســـــبُ
هذَا الهَواء تلُوحُ فِيه لنـــاَظر صورُ، ولكِنْ عن قرِيبٍ ترسُـــــبُ
والنّاسُ جنسٌ ما تُمَيِزُ وَاحدٌ كلُّ الجسُوم إلـــى تُرَابٍ تُنْسَـــــبُ
والأَرِيُ بَاطِنُهُ مَتَى مَا ذُقْتَهُ شَرْيٌ، فَمَاذَا – لَا أَبَا لَكَ– تَلْسَبُ؟[2]

إن المعري اختار الحيوانات ربّما لأنها لا عقول لها، فهي لا تدرك شيء فهو يفضلها عن الناس الذين يمثلون له كل أنواع الشر من مكر وخداع وشرك وخبث، فيقول:

تَعَالَى رَازِقُ الأَحْيَـــاءِ طُـــرًّا لَقَدْ وَهَتْ المُرُوءَةُ والحَيَـــاءُ
وَإِنَّ المَوتَ راحـــةَ هِبْـــرِزِي أَضَرَّ بلبّـــه داء عيـــــاء
وَمَالِي لَا أَكونُ وَصيَّ نَفســي وَلا تَعْصِي أُمُورِي الأَوْصِياءُ
وقَدَ فَتَّشتُ عن أَصحابُ دِينٍ لَهُم نُسك وليسَ لَهُم رِيَـــاءُ
فَأَلْقَيتُ البَهَائِمَ لَا عُقـــــولٌ نُقِيم لها الدَّليلُ ولا ضِيـــاءُ
وإخوانُ الفَطانَة في احتِيـــالِ كَأَنَّهُم لِقَـــــومٍ أَنْبِيَـــــاءٌ
فَأَمَّا هَؤُلَاءِ فَأَهْـــلُ مُكْـــــرٍ وَأمّا الأَوَّلُون فأغبِيَـــــاُء[3]

وإضافة إلى تفضيله الحيوانات قد اختار الأحجار عليهم لأن الناس في نظره انعدمت فيهم صفة الخير والصدق كالأمانة حيث يقول الإمام الشافعي – رحمه الله– (... يلام على الدنيا إن لم يكن فيها صديق حذوق، صادق الوعد منصفا) هذا أبو العلاء يقول:

[1]– الديوان، مج1، ص93–94.
[2]-
[3]

تَحَسَنَ مَرْأَى لِبَيْتِـــــــي آدمَ وكُلُّهُم في الذَّوقِ لَا بِعَذبْ
ما فيهِمْ بِرٌّ وَلَا نَاسِـــــــكٌ إلّا إلـــى نَفعٍ لَهُ بِجَــذْبْ
أَفْضَل بَينَ أَفْضَلِيهِمْ صَخْرَة لَا تَظلِم النَّاس ولَا تَكـذِبْ[1]

وقد نهى عن لوم الدّهر لأن الدّهر لا يقوم بالخيانة إلا إذا استبقنا نحن البشر إلى خيانته، لذلك قال لا تلم الدهر، فما من أحد لامه إلا وأهلكه، فيقول:

اِصْفح، وجَاهرْ بالمُرادِ الفَتَى ولَا يقُولوا هُـــو مُغْتَابُ
إنْ رَابَنَا الدَّهْرُ بِأَفْعَـــــالِهِ فَكُلُّنَا بالدَّهـــرِ مرتَابُ
فَاعفُ، ولا تَعتَب عليهِ فَكَم أَودَى به عَوفَ وعِتّابُ

إن اليازجي قال أن المعري عاش في مجتمع منحطّ إذ: " كثر فيه اللّهو، وشاع السكر وانتشرالفسق، وهذه الآفات الاجتماعية هي أمّها الرّذائل، فلا عجب إذا كثر فيه الكذب والرياء، والغش والسعاية، والاغتياب، والتعدي، والغدر، والاغتيال" فلماذا إذا استغرب إذا جاء شعره على هذه الشاكلة؟[2]

خاصة أن هذا الطفل الكبير المرهق الحس فدعانا الكثير من الويلات من كلام جارح ومعاملة سيئة فهو يرى أن قلوب الناس كالأحجار لا تشعر بالآخرين نحس بالآلام والمعاناة التي يعانون منها ، فيقول:

العَقْلُ سَيشْهَدُ أَنَّني فِي لُجَّـــــة مِن بَاطلٍ، وكذاكَ هذا العَالَمُ
مِثْلُ الحِجَارَة فِي العِظَابِ قُلُوبُنا أو كالحديـــــدِ، فليتنَا لا نَألَمُ

لهذا فهو يرى أن وجود الإنسان في المجتمع بليّة، لأن الإنسان يأتيه الشرّ حتى من الصّديق الذي يظنّه صديقا، فلا يستسلم من أديته، فيقول:

لَمْ تلقَ في الأيّامِ إلّا صَاحبًا تأذَى بهِ طولَ الحياةِ وتألمُ
ويُعدُّ كَونكَ في الزَّمــانِ بَليّة فاصبِر لَها فكَــذَاكَ العَالَمُ

حيث كان ذلك بعد أن توهم بأن الدنيا جميلة وأهلها صالحون، لكنه بعد ما اختبرها واكتشف ألغازها ومشاكلها تأكد بل عرف بأنه واهم، يقول:

[1]

[2]– ينظر: كمال اليازجي: ألو العلاء ولزومياته، ص302.

توهّمت خيرا في الزّمان وأهله وكان خيالا لا يصحّ التوّهم[1]

ظل المعري هكذا يعاني من آلام وعذاب الدنيا ومن شرها، حيث اختار هذا الأخير لنفسه طريق في الحياة حيث اعتزل الناس، إلى درجة أنه تمنى الموت، كي يستريح من الدنيا وهمومها، فقد تجرع مرارة الحياة لذلك اختار العزلة أولا ضيقا بالناس لا ابتعادا عنهم فقال:

بُعدِي عَنِ الإنسِ بُرءٌ من سِقامِهِمْ وقُربهُم للحِجَى والدّين إدْواءُ

كالبيتِ أُفردَ لا إيطاءَ يُدركـــــهُ وَلَا سِنَادَ ولا في اللّفظِ إقواءُ

إن الملاحظ هنا في شخصية أبو العلاء أنه ذات شخصية منطوية على نفسها، حيث أشار إلى ذلك يونغ فقال:" ... بينما يتجه لبيد المنطوي إلى الداخل، وهذا المنطوي يكون أكثر ميلا إلى التأمل والانبساط، ومقاومة التأثيرات الخارجية، وقليل الثقة بالعلاقات مع الآخرين ومع العالم الخارجي، بالإضافة إلى ميله إلى الإنسحاب الاجتماعي واتصافه بالخجل".[2]

كان المعري لا يطيق المرء، فانفرد وحاول العيش وحيدا، كان ذلك نجاة من ظلم الناس وظلم نفسه فقال:

اجتنِبْ النَّاسَ وَعشْ واحِدًا لا تَظلَمُ النَّاسَ ولا تُظلمُ[3]

بسبب هذه الأسباب وأسباب أخرى فضل أو بالأحرى تمنى الموت فهي في رأيه راحة من شرور الحياة وأوزارها ومن مشاكل ومآسي المجتمع، يقول المعري في هذا:

تَعَالى رَازقُ الأَحيَاءِ جَمعًا لَقدْ وَهَتْ المُروءَةُ والحَياءُ

فإنَّ المَوتَ رَاحــةَ هِبرزِيُ أَضَرَّ بِلُبِّـــــه داءُ عَياءُ[4]

فالموت السريع في نظره يريح الإنسان من شرور الحياة وآلامها فقال:

وابنَ عُرسِ عَرفتُ وابنَ بَريحٍ ثُمَّ عِرسًا جَهِلْتُهُ وبَريحًا[5]

---

[1]- الديوان، ص 303.

[2]- محمد ربيع شحاته: تاريخ علم النفس ومدارسه، ص294.

[3]- الديوان، ص364.

[4]- الديوان، ص54.

[5]- الديوان، ص239.

فمن اليمن للفتى أن يجيء الموت يسعى إليها سعيا سريعا

وَلَمْ يُمَارِس مِنَ السِّقَامِ طَوِيلًا وَمَضَى لَا يَكَادُ التَبْرِيحَا[1]

ومن خلال شعر أبو العلاء نلاحظ أن النفس في رأيه خالدة فهي ترتفع إلى السماء وتستقر فيها بعكس الجسد الذي ليس له مكان في السماء، وهذا حسب اليازجي إنكار صريح لحشر الأحياء ويقول:

النَّفسِ في العَالَم العُلوِيُّ مَركَزَهَا وَلَيسَ فِي الجَوِّ للأَجْسَادِ مُزدَرِعُ

تَفَرَّع النَّاسُ عن أَصـلٍ بهِ دَرَنٌ فالعالِمُونَ إذا مَيَّزَتهُم شَـــــرَعُ[2]

فذكر أيضا أن الموت تختار ضحاياها عشوائيا، ويتأسف لذلك لأن ليس له إبنا يخلفه ولا بنتا تأتيه بصهر يتوب عنه فبمزته ينقطع نسله، يقول:

غَدَتْ جُنودُ المَنَايَا حَولَ وَاحِـدَة من النُّفُوس عليها الجَيشُ يقتَـرِعُ

إذَا أُبيدَت فَمَا عِندِي مَتَـى أُخِذَت فَرعُ ينُوبُ، ولا عَـذرَاءُ تُفتَـــرعُ

وإنْ حَبَاني سَعدًا مَنْ بهِ ثِقَتِـــي فَليسَ يَنقصُ حَظِّي أَنَّنِي ضَـرَعُ[3]

هذه الأبيات عبارة عن صورة صريحة تصوّر لنا نفسية هذا الأخير، ومدى تأثير الظروف المحيطة به، وكيف ندم في أواخر حياته على عدم زواجه، فهنا يتأسف لنفسه لأنه عاش في هذه الدنيا يذّم الناس على أخلاقهم لكنّه وجدهم في النهاية عاشوا في هذه الحياة وقبلوا بها واستسلموا لها، يقول شوقي ضيف عن ذمّ أبي العلاء للمجتمع والدنيا:" ولا شك في أن المعري بتشاؤمه وسخطه على الدنيا والناس من حوله يثير في أنفسنا ضروبا من الشفقة عليه إذا كان يتجرع الحياة غصوصا خالصة، ولو أنه أخذ نفسه بالرضا والتسليم فاقتنع بحظه وحظ الناس من حوله".[4]

ظل المعري هكذا يتصارع من أنفسه في تلك التعاسة والوحدة، فظل على هذا المنوال يصارع شرور الدنيا والحياة حتى صرعته[5].

---

[1]- الديوان، ص27.

[2]- الديوان، ص28

[3]- الديوان، ص29.

[4]- شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ص385.

[5]- ينظر: شوقي ضيف، ص386.

سخط المعري على أبناء زمنه ولامهم، وبالرغم من هذا فإنه لم ينسى ذم نفسه أيضا قتمنى الموت لأن الجسم وعاء دنيء تسكن فيه النفس الطاهرة، يقول:

بَنِي الدَّهرَ مَهلًا إن ذَمَمتُ فِعَالَكُم فإنّي بِنَفسِي لَمَا مَحَالة أَبدَا
مَتى يَتَقَضَّى الوَقتُ والله قَادرُ فَنسكُن في هذا التُّرابِ ونَهدَأُ
تجاوزَ هذا الجِسمَ والرُّوحُ بُرهَةً فَمَا بَرحَت تَأذَى بِذَاكَ وتَصدَأُ[1]

فالموت عنه راحة تامة من متاعب وشرور الحياة.

نلاحظ أنه من خلال شعره أنه عانى من عقدة الفقر فرغبته كانت أن يكون كريما فيعطي للسائل والمحروم، لكنّ فقره حال دون ذلك، لذلك تعتبر نصائحه تذكرة للغافلين مثل الماء للزرع فلولا هذا ما تمنى ذلك، يقول:

فَإنْ أَكدِي المَثيلِ فلا تَلُمهُ فَقَد تَخلُو من الرِّسلِ الضَّروعِ
وذَكِّر بالتُّقـــــى نفرًا غَفولًا فَلَولَا السَّقَى مَـا تَمَّتْ الزُّرُوعُ[2]

وفي الكثير من الأحيان كان يؤثر العزلة ويحث عليها، وفي الوقت ذاته يدعوا إلى الإيمان بالقضاء والقدر، بأن من واجبه أن يذكر الناس بالعبر لعله يزرع فيهم روح الخشية والرهبة، يقول:

بَني حَوَّاء، كَيفَ الأَمنَ مِنكُم ولم يُؤهَل بغَير الحِقدِ رُوعُ
إذا كانَ القضَاءُ يَجيءُ حَتمًا فما هذي المَغافِرُ والدُّروعُ
أُذَكِّرُكـــــم بِرحلتِكُم لعـــليّ أَرُوعُ قُلوبكُم ولِمَــن أَروعُ[3]

كل هذه العيوب التي انتشرت في عصره من فساد الأخلاق والدين والمجتمع بصفة عامة، حيث رأى أن سيرة الإنسان أبرز ما يميّزها هو هذا النزوع الحيواني، لذلك يقول بأن هذه الآفات هي الأشد خطرا من كل عيب جسدي، يقول:

يُعيبُ أُنَاس أنّ قومًـــــا تَجَرَّدُوا لحِمَّامِهِم نُصبُ العُيونِ الشَوَازِرِ
لَقَد سَعِدُوا إنْ كَانَ لَم يُجنَ عِندَهُم مِنَ الوِزرِ إلَّا تَركُهم للمـــــآزِرِ[4]

---

[1]- الديوان، ص51.
[2]- الديوان، ص30.
[3]- الديوان، ص31.
[4]- الديوان، ص439.

2)- تأثير العمى على نفسية أبي العلاء:

شاء القدر أن يصاب المعري في أوّل حياته بمرض خطير وهو داء الجذري الذي ذهب ببصره، حيث تكون هذه المصيبة أوّل فاجعة تهديها له الحياة، وبعد هذا أخذت منه والده، وبعد ذلك والدته، فقد عاش طوال حياته محروما، وهذا قد شكل لديه عقدا فيما بعد، حيث عرّفها علماء النفس بعقدة الحرمان أن :" حرمان الكائن الحي في إرضاء بعض دوافعه لمدة معينة، وكلّما طالت مدّة الحرمان كلّما قوي الدافع ويتفاوت الأفراد في مدى تحملهم للحرمان"[1].

عاش المعري محروما مما يدعى بنشاط الحركة والجدّ، فهو العبقري صاحب النفس الطموحة إلى العظمة، لذلك شاع الظلام دنيا أبي العلاء المعري، يقول محمد عبد الرحمان مرحبا:" إنّ العمي كثيرون، ولكن الأذكياء بينهم قلّة، فليس العمى في ذاته مصيبة، إنّما المصيبة هي الشعور به، وهذا الشعور يزداد بازدياد حدّة الذكاء، فعقل المرء محسوب عليه كما يقولون، ولذلك لا نرى كل أعمى يشتكي دهره كأبي العلاء، إذ ليس كل أعمى له ذكاء أبي العلاء"[2].

فالتفكير في المصيبة مصيبة أخرى في منطق الوجود الإنساني، فالعمى لا يخيف كواقعة إنّما كفكرة تتسلط على عقل الإنسان وتنغص عليه حياته، يقول أبو العلاء:

قَالوا العَمَى مَنظرُ قبيـحٌ قُلتُ بفُقدَانِكُـــم يَهـــونُ

واللهُ مَا في الوُجودِ شيءٌ تَأسَى علَى فُقدِهِ العَيونُ[3]

قال مصطفى غالب أن هناك من يرد نقمة أبي العلاء على الكون والكائنات في عصره إلى عماه، وأنه لو لم يكن أعمى لتغيرت الحال غير الحال يذكر أن:" هؤلاء متسرّعون إن لم أقل مخطئون"[4].

---

[1]- محمد مصطفى الشعيني : مقالات في علم النفس، ط2، المكتبة المصرية، القاهرة، 1913، ص94.

[2]- محمد عبد الرحمان مرحبا: من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، ط3، ديوان المطبوعات الجامعية، منشورات عويدات، بيروت، باريس، 1983، ص586.

[3]- ينظر: تغلايد زعيمان: الآراء الفلسفية عند أبي العلاء، ص131.

[4]- مصطفى غالب: من أجل موسوعة فلسفية، ص15.

في هذه الحالة يطرأ إلى ذهني تساؤلات وهي: لماذا إذن يربط تشاؤم أبي العلاء بعماه؟ ولما يعتبر تشاؤما؟ باعتبار أن هذا التشاؤم قد فرض عليه فرضا ولم يختره هو؟

إذا ارتبط هذا التشاؤم بالعمى فلماذا يحس قارئ أبي العلاء أنه مهما أثّر هذا العمي فيه، إلا أنّه كان حافزا لمواصلة حياته، في التأليف والتدريس، فهو الذي كان دائما يحمد الله على العمى كما يحمده غيره على البصر، لكن هذا لا ينفي أن للعمى تأثير على نفسية الإنسان، خاصة أبو العلاء صاحب النفس المرهفة الحساسة ففي اللزوميات إشارات عديدة لا تخلو من الأسى إلى هذه الآفة، يقول:

ذَهَابُ عَينِي صَانَ الجِسمِ آونَةٌ مِنَ التَطرُّحِ في البِيدِ الإمَاليسِ

وأَنْ أَبيذَ سَميرَ الكُـــدرِ في بَلَدِ يُطْوَى فَلاهُ بِتَهجِيرٍ وتَغـــلِيسِ[1]

فهذا العمى وقّر عليه العناء والإيغال في السفر فجسده مرتاح من متاعب الأسفار والضياع في الصحاري في حرّ النهار وظلام اللّيل.

فيقول أيضا وهو يذّم الناس لأنّهم يملؤهم الحقد وتمنى لو كان يستطيع أن يبتعد عنهم لكن للأسف لا يقدر على المشي في النّهار ولا السّفر في اللّيل، وهذا سببه راجع إلى عماه.

يقول:

ومَا بي طُرقٌ لِلمَسِيرِ ولا السُّرى لأنّي ضَرِير لا تُضيءُ لي الطُّرقُ[2]

نفى مصطفى غالب هذا التشاؤم الذي قال به أكثر دارسي أبي العلاء، يقول لماذا لا يرّد هؤلاء:" السبب إلى نفسيته وتكوينها...إلى بسيكولوجية هذا التكوين، وعلاقة هذا الكائن" النّظيف" إذا صحّ التعبير بعصر هو من أوسخ العصور العربية، أو هو بداية تردّي العرب في حمأة العفن والدنس، ومستنقع الظلم والذّل والهوان"[3].

لماذا ينسب إليه التشاؤم باعتباره أعمى، وكل الناس يتخبط في ظلمة الجهل خبط عشوائي فكلّهم اعمى، يقول:

---

[1]- الديوان،مج1، ص571.

[2]- الديوان، مج2، ص75.

[3]- ينظر : مصطفى غالب: من أجل موسوعة فلسفية، ص16.

وبَصيرُ الأَقوامِ مِثْلِي أضعمَى فَهَلمُّوا في حِندِسٍ نَتَصَادَمُ[1]

فإن أراد الأعمى أن يستر شدّ بهم فلا يجد من يرشده لأن الناس أشدّ عمى من هذا الضرير، لذلك لم يجد إلا العصا التي تساعده، كخير وسيلة يستغني بها عن قائد مبصر متمرّد فاجر أو رجل جعل نفسه في الناس مرشدا فإذا به أشدّ الطغاة الثائرين يقول:

أنا أَعْمَى، فَكَيفَ أَهدِي إلى المَنهَج والنَّاسُ كُلّهُم عميَـــانُ

والعَصا لِلضَّرِيرِ خَيرٌ من القَائِـــــدِ فيهِ الفُجُورُ والعِصيَانُ[2]

يصف المعري الناس في الحياة على أنّهم عميان في كلّ شيء، فيغتر صاحب الدنيا فهو يرى أدق الأشياء، ويعمي عن حقيقتها، أي أنه في تمام عافيته لكنّ علّة تكمن في التفكير، فهو ضرير ما يفتقد، ولا يرى ما يملك وهنا يدخل عند علماء النفس " أدلر" عقدة النقص وما يليها من تعويض، فالشعور بالنقص يعدّ القوة المحرّكة للسلوك الإنساني:" يعزو : أدلر: الشعور بالنقص إلى العيوب الجسيمة التي تصيب شخصا ما بحيث يشعر بالنقص، ويلجأ إلى التعويض "compensation" (...) وقد اعتقد أدلر أن ضالة الطفل واعتماده على غيره من شأنه أن يخلق عنده شعورا عاما بالنقص"[3].

الشيء ذاته عند أبي العلاء فهو برغم عماه إلا أنه صاحب ذكاء خارق:" كان له بمثابة العدسة المكبرة التي لا نبيّن الأشياء على حقيقتها، بل هي تضخّمها وتزيد في إبعادها، فقد جعله عقله الكبير مرهف الحسّ ورقيق الشعور، يرى ما يرى الآخرون ويحس أشياء يمرّ بها غيره سراعا لا يلتفتون إليها، وذلك سرّ عبقريته، كما هو محنته"[4]

يقول المعري:

فَإنْ أَخا دُنيَاكَ أَعمَى يَرَى السُّهَى كَلَيلٌ مُعَافَى ظَالمٌ يَتَظلَّمُ[5]

---

[1]- الديوان، مج2، ص380.

[2]-الديوان، ص380-381..

[3]- محمد ربيع شحاتة: تاريخ علم النفس ومدارسه، ص289.

[4]- ينظر : محمد عبد الرحمان مرحبا: من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، ص587.

[5]- الديوان، مج2، ص270.

أما فيما يخص ذلك النقص الذي تحدث عنه " أدلر" والذي جعل أبا العلاء يحتاج إلى غيره دائما في أبسط الأمور مثل وصول مكان أو شيء ما يقصده حاز في نفسه وشعر بنقصه من أداء إحتياجاته لوحده، يقول:

تَصَدَّق على الأَعمَى بِأَخذِ يَمِينِهِ لِتَهدِيهِ وامْنُن فَإفهَامِـــكَ الصُّمَـا

وإنْشَاءُك العَودَ الذِي ضَلَّ نِعمَـة عَلَيكَ، فَمَا بَالَ أُمرِئٍ حَيثُ مَا أمَّا[1]

نتطرق هنا إلى أن أمين خولي أثناء دراسته لأبي العلاء توصّل إلى " أن التناقض التي اتسمت به أفكار المعري ومواقفه لم يكن في المسائل الدينية فحسب- كما يرى القدماء وتبعهم فيه المحدثون- وإنّما التناقض ظاهرة عامة شاملة في آراء أبي العلاء المعري جميعا، ويعتقد أن سرّ هذا التناقض نفسي محض، يرجع إلى ظاهرتين في نفسيته:

- الرغبة المثوية في الاستعلاء على ضعفه والقهر لواقعه.
- دقّة نفسية في إدراك عوالمها المختلفة وخوالجها المتغايرة.

ويبدو فيما يتعلق بالظاهرة الأولى، أنها توافق ما يسمى عقدة التعويض عن مركّب النّقص التي أصيب بها الشاعر وعقدة حبّ التّظاهر عنده، أما فيما يحص بالظاهرة الثانية فهي فيسيولوجية محضة، ولكنها قد ترجع إلى مشكلة بيولوجية وعلى الخصوص إلى عمى الشاعر الذي يلعب الدور الرئيسي في ترهيف حساسيته"[2]

عاش المعري في ثلاث ظلمات:

- عمى العين.
- غموض الدين.
- حلوكة الليل.

حيث عان منها طوال حياته يقول:

عَمَى العَينُ يَتلُوهُ عَمَى الدِّينُ والدُّجَى فَلَيتَنِي القُصــرَى ثَلَاثُ لَيَالِـــي

وما أَزمَت نَفسِي البِنَانَ عَلَـــى التِّي إذا أَزَمَت عَضَّت بشَوكِ سَيَّالِي[3]

---

[1]- أمين الخولي: رأي في أبي العلاء، مصر، 1965، ص 147.

[2]- المرجع نفسه، ص147-148.

[3]- الديوان، مج2، ص212.

ومن المعروف أن العمى بلاء وأيّ بلاء، لكن ليس سببا في رفض الوجود، فهناك الكثير ممّن فقدوا أبصارهم لكنهم أقبلوا على الحياة بكل تفاؤل، كانوا من المبدعين في مجالهم" هوميروس" كان أعمى، وأيضا طه حسين كان أعمى، فلماذا إذا عندما نذكر أبا العلاء يتبادر إلى الأذهان التشاؤم؟ ألم تكن سيرة ابن الرومي تتم عن طيرة وتشاؤم لكن حينما يذكر يقال عنه أنه تقبّل الحياة وأقبل إليها، في حين ينفون عنه التشاؤم لكنهم يثبتونه على المعري الذي وجد في عصره مجالا واسعا لإظهار عبقريته في انتقاده الناس والدنيا وفساد الأخلاق، لما أعطي له هذا اللقب؟ أم كان خطأه أنه أعرى الحقيقة، وكان شعره عبارة عن صورة حقيقية لفساد العصر وفسد معه حكامه ووعاظه فلا رحمة في قلوبهم ولا رأفة على المحتاج والعاجز.

يقول:

إِذَا مَرَّ أَعْمى فَارحَمُوهُ وأيقِنُوا وإن لَمْ تَكُفُّوا، أَنَّ كُلُّكُم أَعمَى[1]

إسود ليل العمى على الناس في هذا العصر، وهذا ينم على قساوة القلوب، وضعف الدّين، وإذا اعتبر أبو العلاء من المتشائمين فإنّه ولّد لديه فرط الإحساس وقوة الشعور ووعي وجدانه، لذلك فإنّه رأى الأشياء على حقيقتها جون زخرفة، فالمتشائمون أقرب إلى إدراك عيوبها، وإدراك الآلام التي تكمن وراءها، اتهم أصدق حكمًا من المتفائلين لذلك يلاحظ أنهم أشدّ تعاسة، بينما المتفائلون أكثر غباء[2].

إن التشاؤم ليس خطرا على المجتمع ولا على على الحياة وإلا لما قوّم إعوجاج أقبلت عثرة، فالناس يحبّون أن يظلوا في أوهامهم، إنّهم يرحّبون بما يكون في أحلامهم، ويقول لهم اطمئنوا، لا بمن يحذّرهم كل لحظة، والمعري كان هكذا ما فتئ يحذّر وينقد ويدعو بالتي هي أحسن، أدّ بالتي أسوء، دون خوف أو خشية أحد، فغايته كانت دائما لإرضاء ضميره، وعقله سواء أرضى به الآخرون أم لم يرضوا[3].

إن شخصية الإنسان يحرّكها هدف نهائي هو الرغبة في الكمال أو التفوق، فهذه العقدة تتجلى أكثر في ديوانه " لزوم ما لا يلزم" أثناء إظهاره لمقدرته اللغوية وأنه حتى وإن

[1]- الديوان، ص309.

[2]- الديوان، ص311.

[3]- ينظر : محمد عبد الرحمان مرحبا: من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، ص586.

سبق إلى هذا اللون، فإنه لا يوجد هناك شاعر استطاع أن يتقيد كما لزم المعري ما لا يلزم في كامل ديوانه:" ومشاعر النقص تؤدي إلى فائدة لكل من الفرد والمجتمع لأنها تؤدي إلى تحسن مستمر لمواجهة مواقف الحياة المختلفة"[1].

الملاحظ أن سبب دخول المعري العزلة هو إعتزاله وابتعاده عن الناس لأنهم في نظره لا يرحمون.

إن التشاؤم الذي يعاني منه المعري ليس التشاؤم السلبي، فهذا الأخير لن يجعل منه مبدعا، والمتفحص لديوان اللزوميات يجد بين طيّاته دروسا في الحياة من رجل حكيم عالم بها، لهذا فعلى محبيه وقارئيه والمعجبين به أن يعلموا بأن هذا الرجل العظيم والشاعر العبقري لم يجد مجالا لإظهار مهاراته وعبقريته أكثر من نقد الدنيا وأهلها والتحذير منها.

على الرغم في كل ما تلقاه في بغداد من صفعات مؤلمة جعلته يخرج منها ويعود للمعرّة، وقراره اعتزال الناس بمجرد وصوله المعرّة، إلا أن ذلك التشاؤم الذي قيل عنه هناك من ينفيه فمصطفى غالب يذكر أنّه لم يجد له أثرا لا في حديث أبي العلاء المليء بالدعاية، ولا في تعليقاته الملغوزة بالسخرية من الحمقى، ففي أوقات لعبه الشطرنج كان يدخل فيه فن الهزل، مثلا قوله:" أنا أحمد الله على العمى كما يحمده غيري على البصر، وقد صنع لي وأحسن بي، إذ كفاني رؤية الثقلاء البغضاء"[2].

إن كان العمى مصيبة فهذا يهون على المعري وهذا دليل على بصره، فلماذا يردونها إلى التشاؤم؟ فلو كان التشاؤم سلبيا لكانت نتيجته فاشلة غير التي عرفت عنه، إنّما يجعل منه إنسانا فاشلا، فكيف وهو صاحب الشعر الصعب فذاكرته زاخرة بكل غريب من غرائب المضامين والأساليب والقواضي[3].

[1]- ينظر: محمد ربيع شحاتة: تاريخ علم النفس ومدارسه، ص298.

[2]- ينظر : مصطفى غالب: في سبيل موسوعة فلسفية، ص85-90.

[3]- المرجع نفسه، ص61.

3)- المعري ورأيه في المرأة:

يقول أبو العلاء المعري:

هَذَا جَنَاهُ أَبِي عَلَيّ وَمَا جَنِيتُ عَلَى أَحَدٍ[1]

هل حقيقة أن المعري ينكر التناسل، أم هو التعبير عن الضيق في الحياة؟

تعتبر المرأة من أكبر حبائل الحياة، فمن تعلّق بها بسبب، فقد تعلّق من الحياة بأسباب،وخاض من الدنيا في أعماق الغمرات، فليس غريبا أن يرفض المرأة من يرفض الحياة، إنما ليس من الحكمة في شيء إنكار التناسل، لأنه حكم على الحياة بالعقم، وعلى الجنسين لقتل غريزة التواصل، وعلى المجتمع لعدم القدرة على الاستمرار.[2]

إن النظر إلى أبي العلاء كشخصية عامة، فإنّ إنكار التناسل يعدّ غباءا وليس فيه من الحكمة من شيء، لأنّه لا يدرك طبيعة الإنسان، ولا قانون الحياة، ويعتبر أيضا خارجا عن الدّين، الذي يجعل من المرأة النصف المكمّل للرجل.

لكن إذا عولج المعري شاعرا يعبّر عن مشاعره الخّاصة، وتجاربه في الحياة صحّ إنكاره التناسل بسبب علّة مرضيّة عضويّة كانت أن نفسيّة، وهذا لم يصدر عن فكر إنّما عن إنفعال، لذلك يتساءل القارئ ما سر ذلك الانفعال؟ وهل كانت له أسبابه أو علاقته بحياته؟[3]

أوّل شيء: هو كيف كانت علاقته بوالديه؟ هل كانت هي السبب في كراهته النّسل؟

كان والده من أسرة عريقة، فالأب من اسرة توارثت العلم والقضاء، والأم من سلالة ذات شرف وجاه، وقد أحاطه بالرّعاية الكاملة، ففي حياتهما لم يتركاه يحتاج إلى غيرهما وقد ساعداه كثيرا كي ينمي قدراته.[4]

---

[1]- الديوان، مج2، ص260.

[2]- عباس محمود العقاد، الأدب والنقد، مج2، ط1، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة مطالعات في الكتب والحياة، 1983، ص141.

[3]- كانل سعفان: في صحبة أبي العلاء بين التمرد والانتماء، ص157.

[4]- المرجع نفسه: ص 158.

فالملاحظ إذن أنّ علاقته بوالديه لم تكن وراء كراهته للنّسل، بل ظلّ على حب ووفاء حتّى بعد وفاتهما، يقول المعري:

إِذَا نِمْتُ لَاقَيتُ الأَحّبَة بَعْدَمَا طَوَتْهُم شُهُورٌ فِي التُّرَابِ وَأَحْوَالُ[1]

وفي كتابه " الفصول والغايات" التي كتبها بعد موت والديه بزمن طويل يخاطب الله عزّ وجل يقول:" وارزقني في خوفك برّ والدي، وقد فاد برّه إهداء الدعوة له بالغدو والآصال، فاهدي اللّهم له من تعيّة أبقى من عروة الجذب، وأذكى من ورد الرّبيع وأحسن من بوارق الغمام، تسفر لها ظلمة الجدث، ويخضّر السّفاه، ويأرج ثرى الأرض تحيّة رجل للقياليس براج".[2]

وفي أيّاه الأخيرة ذكر والدته في قصيدة بعثها للقاضي أبي عبد الله محمّد:

أَعَبْدَ اللَّهَ وَمَا أَسْدَى جَميـلًا نَظِيرٌ جمِيلٌ فَلَعَلَّك مِثْلَ أُمِّي

سَقَتْنِي دِرّهَا، ودَعَتْ وَبَاتَتْ تَعُوذُني، وتقْرَأُ، أَوْ تُسَمِّـــــي[3]

ومن خلال علاقته الوطيدة مع والده وأعمامه وأخواله، خفق قلبه للحب وللحميم، ورغب في أن تكون له في الحياة شريكة تقاسمة الأحلام والآمال والآلام، وديوانه " سقط الزند" هو الذي يجمع بواكير شعره وخرجات صبوته فهو يضم مجموعة من غزلياته" وإعلام القدرة على القول في كل فنون الشّعر، لا لأنّ أبا العلاء يزيّف وجدانه، أو يقول ما لا يجد، بل لأنّ الغزل في مرحلة المراهقة إنّما هو شوق وحنين ورغبة فطرية، ودليل آخر على صدق غزله، أنّه يحمل مشاعر المراهقة المستحية.[4]

كانت جارته من أولى النساء التي نظر إليها ورغب بها، وأراد التقرّب منها، فلم يطلب منها إلّا زكاة الجمال في أسلوب مرج، يقول:

أَيَا جَارَةَ البَيتِ المُمَنّـــــعِ جَارَهُ غَدَوتِ وَمَنْ لَي عِندَكُم بمَقِـيلِ

لِغَيْري زَكَاةٌ مِنْ جَمَالٍ، فَإِنْ تَكُنْ زَكَاةُ جَمَالٍ فَاذْكُرِي ابْنَ سَبِيلٍ[5]

---

[1]- الديوان، ص206.

[2]- ينظر: كمال سعفان: في صحبة أبي العلاء بين التمرد والانتماء، ص158.

[3]- المرجع نفسه، ص158-159.

[4]- المرجع نفسه، ص159.

[5]- ينظر: كمال سعفان: في صحبة أبي العلاء بين التمرد والانتماء، ص159.

وقد مرّ في هذا البحث أنّ أبا العلاء كان يعاني عقدة الفقر، لكنّه كان كمثله من الذّين أحبّوا ، فقد كان حريصا أن يداري فقره المادي، فكثيرا ما يدّعي ما لا يملك أمّا فقره الرّوحي وحاجته إلى الزّاد الجميل فهذا هو عنوته المفضّلة على مسمع من المحبوبة أو بينه وبين نفسه، يقول:

كَمْ قُبْلَةٍ لَكِ فشي الضّمَائِرِ لَمْ أَخَفْ فِيهَا الحِسَابَة، لِأَنَّها لَـــمْ تُكتَبِ
ومَتى خَلَلتُ بِهَا مِنْ أَجْلِكِ لَـمْ أَرْعَ فِيهَا بِطَلْعَة عَاذِلِ مِـــنْ مُرقِبِ
وَرَسوُلُ أَحْلَامِي إِلَيْكِ تَعِثْتُـــــــهُ فَأَتَى عَلى يَأْسٍ يُنْجِحِ المَطْلَبِ[1]

فالملاحظ إذا من خلال ديوانه " سقط الزند" أنّ المعري كان في بداية حياته محبا للمرأة راغبا فيها باعتبارها أقدر على فهم مشاعر الرجل وتقويم نبضات قلبه، وقد ظلّ هكذا وفي اللزوميات إشارات لذلك يقول:

خَيْرُ النِّسَاءِ اللّوَاتِي لَا يَلِدنَ لكُمْ فَغِنْ وَلَدْنَ فَخَيْرُ النَّسْلِ مَا نفَعَا [2]

فهو يأثر من النساء العقيمة منهم ومن الذريّة لصالحة، فصلاح الأبناء ينفع في الدّنيا ويشفع في الآخرة.

وما زال يصدر الأحكام العامّة، فقد دعا إلى الحزم في تربية الأولاد وعليه فالواجب توجيههم على هذا المبدأ، إن لم يكن بالوعظ، فبالضرب، لأنّ الشدّة تقوّم السلوك فالقلم لا يصلح للكتابة إلّا بعد شقّ رأسه، فتهذيب الوليد لا يكن إلا بالضرب الشديد يقول:

فَاضرِبْ وَلِيدَكَ، وادْلُلْهُ عَلَى رَشَدِي وَلَا تَقُل هُوَ طِفْلٌ دُونَ مُحتَلَـــــــمِ
ورُبَّ شَقٍّ بِرَأسِ جَرَّ منْفَعَـــــــةً وَقِسْ عَلَى نَفْعِ شَقِّ الرَّأسِ فِي القَلَمِ[3]

وما لبث هذه الأفكار أن تغيّرت، فالمعري الذي كان محبا للمرأة، أصبح يراها أصل كلّ فساد، لذلك فإنه يوصي بالحذر منها، فهي أصل للغوايات كلّها وتمنّى لو كانت حواء عقيمة لا تلد الناس ولا تحبل، وانتقد في الوقت ذاته المتزوجين الذين يعملون على مواصلة النّسل، لأنّها في نظره سبب لتضاعف الشّقاء الإنساني، لذلك رأى بأنّ

[1]- المرجع نفسه، ص121.
[2]- الديوان، مج2، ص33.
[3]- الديوان، ص 347.

الإنجاب عذاب، والنّسل جناية، فكانت نتيجة ذلك أنّه هجا آدم وحواء.لأنّهما– حسبه– أصل الشّقاء والألم والفساد، يقول:

هَذَا جَنَاهُ أَبِي عَلَيّ وَمَا جَنِيتُ عَلَى أَحَد[1]

كان لحواء وبناتها حظ واسع من هذا الهجاء، فهنّ أصل هذا البلاء في الأرض وأصل هذا النّسل الذي يعيش في دار النحس والشّقاء يقول:

فَلَيتَ حوّاءُ عَقِيمٌ غَدَت لَا تَلِد النّاسَ ولاَ تَحْبَل[2]

ليت الناس يمتنعون عن النّسل والزواج، حتّى يتحطم هذا العالم الذي يسير هذه السيرة العرجاء في توزيع الحظوظ والأرزاق، ويقول:

لّو أنَّ كُلَّ نُفُوسِ النّاسِ رائِيــة كَرأى نَفسٍ تَنَاهَتْ عَنْ خَطَايَاها

لَعَطَّلُوا هَذِهِ الدُّنيَـــا فَمَا وَلَدُوا وَلَا اقْتَنُوا واسْتَرَاحُوا مِن رَزَايَـاهَا[3]

لذلك رأى أنّ خير نساء العالمين عقيمها، لأنها تكفي الرجل شرّ عقوق الأبناء والتّسبب بشقاء وجوده، يقول:

إِذَا شِئتَ يَوْمًا وَصلَة بِقَرِينةٍ فَخَيرُ نِسَاء العَالَمِين عَقِيمَها

من أجل هذا فقد انتقد الرحل الذي يطلّق إمرأته لأنّها عاقر، لأنّه يرى العاقر خير من الولود، لأنّه لا ينتظر الولد في حياته غير الذّل والشّقاء، يقول:

إِنَّ اليَهُوديّ خَلّى جَهْلَـــهُ إمرأَة كَانَتْ عقِيمًا، وخَيرُ النِّسـوَة العُقْمْ

مَاذَا أَرَادَ – لَحَاهُ اللَّه– مِنْ وَلَدٍ تَلقَى مِن الدَّهرِ مَا يُردَى ومَا يَقمْ[4]

يرى المعري بأنّ النّسل إثم يرتكبه النّاسل، وخير للرجل أن يختار للزواج من هي عقيم كي يتفادى الإثم، يقول:

أَرَى النَّسلَ ذَنْبًا للفَتَى لَا يُقَالُه فَلَا تَنْكَحنَ الدّهرَ غَيرَ عَقِيم

وظلّ هكذا يرفض المرأة رفضا مضاعفا، فالمرأة إذا رفق بها فهي ألعوبة ملهية، يقول:

وَمَا الغَوَانِي الغَوَادِي فِي مَلَاعِبِها إِلَّا خَيَالَاتُ وَقْتَ أَشْبَهتْ لَعِبًا[1]

---

[1]– ينظر : كمال اليازجي: أبو العلاء ولزومياته، ص 348.

[2]– الديوان، مج2، ص171.

[3]– الديوان، مج2، ص 51.

[4]– الديوان، مج2، ص381.

وإذا اشتدّ فهي حيَة مؤذية، يقول:

وإنَّمَا الخُودُ فِي مسَارِبهَا كرَبّةِ السِّنِ فِي شَتَرِيهَا

وهي على كلّ حال آفة اللب وفتنة الحلم، يقول:

يُفَنّدنَ الحَلِيمَ بِغَيرِ لُبٍ وَهُنَّ وإن عَلَينَ مفَنّدَات[2]

فعشرة النساء تورد الرجل موارد الهلال، يقول:

وَلَكِنّ الأوَانِسَ بَاعثَـــــاتٌ رِكَابَكَ فِي مَهَالِكِ مُقْتِمـــاتِ
صَحِبنَكَ فاسْتَفَدنَ بِهِنَّ وَلَدًا أَصَابَكَ مِن أَذَاتِكَ بِالسِّمَـاتِ
وَمَنْ رُزِقَ البَنِينَ فَغَيرُ نَاءٍ بِذَلِكَ عَنْ نَوَائِهِ مُقَسّمَـــــاتِ
فَمِنْ ثُكلِ تُهَابُ مِنْ عُقُوقٍ وَأَرْزَاءٍ يَجِئنَ مُصمِّمَـــــاتِ
وَإِنْ يُعطَ الإِنَاثُ فَأيُّ بُؤسٍ وَيُلقِينَ الخُطُوبْ مُلوّمـــاتِ
وَلَسنَ بِدَافِعاتِ يَوْمَ حَـربٍ وَلَا فِي غَارَةٍ مُتغشِّمَـــــاتِ
ودَفْنُ وَالجَوَادِث فَاجِعَـاتُ لِإحدَاهُنَّ إِحْدى المَكرمَـاتِ
وَقَدْ يَفْقِدنَ أَزوَاجًا كِرَامـــا فَيَا للنِّسوَة المُتَأيِمـــــــاتِ
يَلِدْنَ أَعَاديًا ويَكُنَّ عَـــارًا إِذَا أَمْسَيْنَ فِي المُتَهضّمَاتِ
يَرُعنَكَ إِنْ خَدَمْنَ بِغَيرِ فنٍّ إِذَا رُمنَ العَشِيَّة مُخَدَّمَـاتِ[3]

فأذى المرأة حسب المعري لا يزول، مثل الأثر الذي يتركه الكيّ بالنار، لذلك رأى بأنّ المرأة الحامل لبنت فإنّما تحمل في أحشائها أسباب المتاعب، لأنّ المرأة لها طلبات كثيرة لدى زوجها مثل الحلي، فإن لم يستطع تلبية رغباتها فإنّه قد تصيبه المتاعب ورأى أيضا أنّ المرأة عندما تتزوج يمكن أن تقترن برجل ويكون عرش ذلك الرجل فيصبحون أعداء لأهل المرأة، وبالتالي ستنجب أولادا سيكونون أعداءا لأخوالهم فالمعري يجد في الوأد فضيلة للمولودة، ونعمة لأهلها. وكثيرا ما أعجبه قول علقمة الفحل عند وصفه النساء، يقول:

[1]- الديوان، ص286.

[2]- الديوان، مج2، ص337.

[3]- الديوان، مج2، ص191.

فَإِنْ تَسْأَلُونِي بالنِّسَـــــاء فَإِنّني بَصِيرٌ بِأَدْواءِ النِّسَـــاءِ طَبِيبُ
إِذَا شَابَ شَعْرُ المَرءِ أَو قَلَّ مَالُه فَلَيْسَ لَهُ فِي وُدِّهِنَ نَصِـــيبُ
يُرِدْنَ ثَرَاءَ المَالِ حَيثُ وَجَدْنَـــهُ وَشَرخُ الشَّبَابِ عِنْدَهُنَّ عَجِيبُ[1]

فتواصل حبل النساء نذير للمصائب والشقاء، يقول:

أَرَى حَبلًا حَادِثًا فِي النِّسَاءِ حَبلَ أَذَاةٍ بِهِنَّ اتَّصَـــلْ
أَتَى وَلَدٌ بِسجِّلِ الغِنَـــــاء فَيَا لَيتَ وَارِدَهُ مَا وَصَلْ
وَإِنْ أَنظَرتَهُ خُطُوبَ الزَّمَانِ شُدَّ بِنَاب شَدِيدِ العَصَلْ[2]

فيرى أنّ حبل النّسل إذا تواصل هو علّة في تواصل شقاء البشر، فكل طفل يولد هو بداية أخرى لسلسلة آلام البشر لذلك تمنّى أن يكون جميع النّساء عقيمات كي يقطع دابر الشقاء.

وما يزال المعري ينصح الرجل وينهاه عن الزواج، وإن تزوّج فلا ينجب كي لا يجني على أولاده ويتسبب في شقائهم، يقول:

نَصَحْتُكَ لَا تَنْكَحْ، فَإِنْ خِفْتَ مَأْثَمَ فأَعرِسْ وَلَا تنْسَل فَذَلِكَ أَحْـــزَمُ
أَظُنُّكَ مِنْ ضَـــــعْفٍ بِلّتُكَ غَادِيًا يُحلّكَ مِنْ عَقدِ الزّوَاجِ المعـــزَّمُ
إِلى اللَّه نصَّت رَغبَـــــــة أَوَّليّة نَصَارَى تُنَادِي أَو مَجُوسٌ تُزَمزِمُ[3]

حذّر المعري من خطر المرأة على المرأة لذلك نهى أن تحتك بالأماكن العامّة، وأيضا نهى عت تعلّمها، فالأولى لها المكوث في بيتها للغَزْلْ والاهتمام بشؤونه إلى حين أجلها، يقول:

شَرٌّ عَلَى المَرأةِ مِنْ حَمَامِهَا مِنْهَا إِرْسَالُكَ الفَاضِلُ مِنْ زِمَامِهَـا
وَمَشْيُهَا تَقْتَرِفْ فِي أَكْمَامِـــــهَا يَفُوحُ ريّا الطِيبِ مِنْ أَمَامِهَـا
زَائِرَةُ المَسْجِـــدِ فِي إِلْمَامِـــهَا تَأْثَمُ والخَيبَةُ فِي ائتِمَامِهَـــا
بِأَجْدَالِ مَا عَفَّ عَنْ حَمَامِهَـــا أَعَذَهَا الخَالِقُ مِنْ إِمَامِهَـــا
ورِيقُهَا المَشْرُوبُ فِي ضِمَامِهَـــا سِمَامُ أَفْعَى بَانَ عَنْ سِمَامِهَا
إِنْ نَزَلَت عَصْمَاءُ مِنْ شَمَامِهَـــا فَلَا سَقَاهَا الطَلُّ مِنْ غَمَامِهَا

[1]- الديوان، ص191.
[2]- الديوان، ص192.
[3]- الديوان، مج1، ص192.

إِذَا احْتَوَى الرَّيمُ عَلَى زِمَامِهَـــا لُزُومهَا البَيتُ مَعَ إِهْتِمَامِهَـــا
حَتَّى يَجِيءُ الوَقدُ مِن حِمَامِهـا وحَملُهَا المَغزَلِ فِي إِتمَامِهَـــا
أَوفَى لِمَا نَعقِدُ مِن ذِمَامِها[1]

يضيف أيضا ويقول أنّه يجب تعليم المرأة الغزل والنّسيج لا الكتابة والقراءة، يقول المعري:

عَلِّمُوهُنَّ الغَزلَ والنَّسِيـــجَ والرَّدمَ وخَلُّوا كِتَابَـــةً وقِـــرَاءة
فَصَلَاةُ الفتَاةِ بالحَمْدِ والإخلَاصِ تُجزَى عَن يُونسٍ وبَرَاءهُ[2]

إن هذا الشّاعر الذي ظلّ عن نهم المعرفة وشغف الإطلاع، حتّى صار عنده من كلّ أثر خير خشيّ على المرأة من التّعليم، لأنّ التّعليم يفتح باب الحيلة، ويوسّع الخيال ويصنع بين يديها العالم بكلّ ما فيه من مغريات، ويزيّن لها الرأي والاختيار، ولهذا اقتصرت عملها على الغزل، فإن كان ولا بد من قراءة القرآن وعلوم الدّين فبشروط:

ولَا تَحْمَدْ حسَانَكَ إن توافَتْ بأيدِي السُّطورِ مُقوِّمَـــــاتِ
فحملُ مَغازِلِ النِّسوانِ أولَى بِهنَّ منَ اليَراعِ مُقلمَـــــاتِ
سِهامٌ إِن عرفتَ كتابَ لِسنَ رَجعنَ بهَا يسُوء مسمّمَـــاتِ
ويترُكنَ الرَّشيدِ بغيـــرِ لُبٍ أَتَينَ لهَديهِ مُتعلِّـــــــماتِ
وإِن جئنَ المُنجمِ سَائـــلَات فلسنَ عنِ الظِّلالِ بمُنجمـاتِ
ليأخذنَ التّلاوةَ عن عجُـوزٍ مِن اللّائِي فغرنَ مُهتمَـــاتِ
يُسبحنَّ الوَلِيدَ بكُلِّ جُنـــح ويركُنَّ الضُّحى متأثِّمـــــاتِ
فمَا عِيب الفَتيَاتِ لحنًـــا إذا قُلنّ المُرادَ مترجَمَـــــاتِ[3]

لذلك نهى عن اختلاط النساء بالرجال، لأنّهن آفة الكبار وغواء للشباب، يقول:

إِذَا بلَغَ الوَلَدُ لدَيكَ عشْـــــرًا فَلَا يدخُل على الحرمِ الوَلِيدُ
فإِن خَالفتِي وأضعتَ نُصحِي فأنتَ وإِنْ رُزقتَ حِجـى بَليدُ
أَلَا إِنَّ النِّســـاء خِيالُ غنيّ بِهِن يضيعُ الشَّـــرف التّلِيدُ[1]

[1]- ينظر: عباس محمود العقاد، الأدب والنقد، ص141.
[2]- الديوان، مج1، ص262- 263.
[3]- الديوان، مج2، ص268.

لكن مع السّخر من المرأة ونعتها بكل الصّفات الرذيلة وأن زواجها يكون السبب في استمرارية الفساد في الأرض، إلّا أنّه في اللزوميات أورد مقاطع فيها إيجابيات الزواج فيراه أنه الصّائن الوحيد للمرأة.

مَا صَانَكُنَّ سِوَى الأَزواجْ مِنْ أَحَدٍ وأَوَّل الدّهْرِ أَعْيَّيْتُنّ هَمَّامـــــــا
ومَا بَكَيْتُ رَمِيمًا، وهِيَ نَائِيـــــةٌ وَإِنْ عَلِمتُ حِبَالَ الوَصْلِ أَرمَاما
إِذَا تَوَلّتْ عَلَى هَجرٍ ومَقليّـــــةٍ فَلَا تَعرّضْ لِنَافِي النَّومِ إِلْمَامَـا[2]

وقد أشار إلى الشروط التي يجب أن تتوفر لدى الزوجة وما يترتب عن هذا الاختيار في تقرير مصير حياتهما الزوجية، ففي رأيه أنّ الزوجات جواهر وفواجر، وعلى الزوج أن يلتمس فيهن الأصل النبيل والعقل النيّر والعفّة والطاعة وحب العمل، حيث يقول في تفضيل ذات الأصل الرّفيع، يقول:

إذا شئتَ أَنْ تُقَارِنْ يَومًـــا حُرّة مِنَ النّاسِ، فاخْتَرْ قَوْمَهَا وتُجَّارَهَا
فَمِنْهُنّ مَنْ تُعطِ الرّبَاحَ عَشِيرُهَا وَمؤْتَهنَّ مَنْ تُثْنِي يُحسَرِ تِجارُهَا[3]

وقال أيضا أنّه يجب النظر إلى العرق الكريم، كحقيقة نفسية فقد تغيب عن الكثيرين فإن وليدة النبل لها من نيلها وازع أخلاقي، يحفظ مكانتها ويصون كرامتها، ويشترط في الزوجة الفاضلة أن تكون حصانا عاقلة، قال:

إِذَا كَانَتْ لَكَ إِمرأَةٌ حِصَـــــانٌ فأَنتَ مُحسّدٌ بَينَ الفَرِيـــــقِ
وإِنْ جَمَعَتْ إِلَى الإحصَانِ عَقْلًا فَبُورِكَ مُثْمِرُ الغُصْنِ الوَرِيقِ[4]

ومن علاما العفة لديه أن تكون الزوجة مكنونة في البيت لا تخرج منه ولا تطل من نوافذه، يقول:

تَزوَّجْ إِنْ أَردْتَ فَتَاةَ صِدْقٍ كَمُضْمِرِ بِعْمَ دَامَ عَلَى الضَّمِير
إِذا اطَّلَعَ أَوَانِسُ لَمْ تَطّلَـعْ إِلى عُرسٍ يمُرُّ، ولا أَمِـــير...[5]

---

[1]- الديوان، مج1، ص268- 269.
[2]- الديوان، مج2، ص322.
[3]- الديوان، مج2، ص409.
[4]- الديوان، مج1، ص105-106.
[5]- الديوان، مج1، ص465.

فاللزوميات تتضح في قصائد كثيرة يمدح فيها المرأة، وهنا يظهر التناقض الموجود في آراء أبي العلاء ومن الصفات التي يستحسنها في المرأة أن تون عفيفة عاملة نشطة يقول:

إذا رَدَنْتَ فِيمَا يَعُـــــودُ لِطِفْلِـــهَا بِنِفْعٍ فَامرِهَـــــا ورجَّ إِمَارَهـــــا
وجنَّتْكَ الأولَى عَرُوسُكَ وافقَـــــتْ رِضَاكَ، فَإِنْ أُجنَّتْكَ فاجْنِ ثِمَارهَــا
وَمَا هذِه الدُّنيَا بِأَهْلِ وَدِيعَـــــــةٍ فلاَ تَأْتَمِنْهَا قَدْ عَرَفتَ أَمَارهَـــــا
وتَتْرُك جَمْرَ الزَّوجِ يَخْبُو لِرحلـــــةٍ إِلَى الرُّكْنِ والبَطْحَاءِ تَرمِي جِمَارَهَا
وأَولَى بِهَا مِنْ بَيتِ مكَّة بَيْتُهَـــــا إذا هِي قَضَتْ حجَّهَا وإِعْمَارَهَـــا
متَى شَرِبتَ خمْرًا فَلسْت بِآمِـــــنٍ عَلَيْها عوِيًا أَنْ يحُل خِمَارَهـــــا
فقدْ عِريَتْ بالكَأْسِ مُؤنُ كلِّ ملبَسٍ جمِيلٍ، وألقَتْ فِي حَشَاك خُمَارُهَـا
مَعَ القَمَرِ السَّاري تعلَّقَ ودُّهـــــا فَمَا بَذَلتَ للخُلِّ إِلَّا قِمَارُهَـــــا
أَرَانِي غُمرًا بالأُمورِ ولَـــــمْ أزَلْ أَجُوبُ دُجَاهَا أو أَخُوضُ غِمَارهَـا
وأفضَلُ مِن مِزْمَارِ شَرِبِ نعامَـــة تُكرِّر فشي الشَّهبِ الرحِيبِ زِمَارَهَا[1]

طالب انطلاقا من هنا بإكرام الأطفال لأنه فيهم الرجال، وقال بعدم توبيخهم بأقوال نابيّة سيّئة، فيعد مدة قصيرة سيصبحون رجالا أجّلاء:

لَا تَزْدرُنَّ صِغَارًا فِي ملاعِبِـــهِم فجَائزٌ أَنْ يَرُوا سَاداةِ أَقْـــوامِ
وأكْرِمُوا الطِّفْلَ عَنْ مُكرٍ يُقَالُ لَهُ فإِنْ يَعِشْ يُدعَ كَهْلاً بعدَ أعوَامِ[2]

ونصائح أخرى يقدمها هذا الحكيم الشاعر في حقل حديثه عن الأسرة فيقول في واجل البنين إكرام والديه:

العَيشُ مَاضٍ فَأَكْرِمْ وَالِدَيـــكَ بِـــهِ و الأُمُّ أَولَى بِإِكْرَامٍ و إِحْسَـانِ
و حَسْبُهُمَا الحَمْلُ و الإِرْضَاعُ تُدْمِنُهُ أَمْرَانِ بِالْفَضْلِ نَالاَ كُلَّ إِنْسَانِ[3]

[1]- الديوان، مج1، ص408.
[2]- الديوان، مج2، ص351-352.
[3]- الديوان، مج2، ص446.

يرى المعري أن الموت آت لذلك على الإبن أن يستغل وجود والديه أمامه ليرجع إليهما الفضل، قبل أن يوافيهم الأجل، ولا سيما الأم، ففضل الأم من حيث الحمل والإرضاع يشمل جميع الناس.

من خلال ما مرّ في البحث لماذا يقال عن المعري أنه كره المرأة واستنكر النّسل؟ وهو الذي عان الفقر والحرمان من كلّ شيء؟

أوّل ما يواجه قارئ اللزوميات، تلك التعابير التي لطالما استعملها المعري ليعبر عن آلامه، لأنه حرم الولد وانقطع حبله، يقول:

تَوَاصَلَ حَبْلَ النَّسْلِ مَـــا بَينَ آدَمَ وَ بَيْنِي وَ لَمْ يُوصَلْ بِلاَمِي تَاءُ
تَثَاءَبَ عَمْرُو و إِذَا تَثَأَبَ خَالِـدُ بِعَدْوَى، فَمَا أَعْدَتْنِـــي التَّوْبَـــاءُ
وَ زَهَّدَنِي فِي الخَلْقِ مَعْرِفَتِي بِهِمْ بِعِلْمِي بِأَنَّ العَالَمَـــــينَ هَبَـــاءُ
وَ كَيفَ تَلَاقَى الّذِي فَاتَ بَعْدَمَـا تَلَفَّعَ نِيرَانُ الحَـــــرِيقِ آبَـــاءُ[1]

أيّ مرارة وأيّ حصرة وضياع عاشهما عندما قال" لم يوصل بلام باء". لكن أدرك بعد فوات الأوان أنه جنى على نفسه في حين نجح الآخرون في تكوين أسرة، من سيحمل اسمه بعد موته، وينشر في الناس ذكره ويجمع آثاره:

إِذَا لَمْ يَكُنْ خَلْفِي كَبِيرٌ يُضَيِّعُهُ حِمَامِي، وَلَا طِفْلٌ، فَفِيمَ حَيَاتِي؟[2]

أخيرا أدرك المعري خطأه ولمس أهمية استمرار الحياة بالولد لأنه زينة حياة الدنيا هي البنين، لكن ماذا يفيد الندم إذا جاء متأخرا.

(تحدث كثيرا عن الحرمان الذي سببه هذا السّر العاجز فجعله يسبح في البحار الموج دون القدرة على أن يحج وأن يتزوج.

وإذا كان الحرمان من الحج بسبب مشاق الطريق وما يعانيه الحجاج من اضطراب الأمن وكثرة اللصوص والنهابين، فما سبب الحرمان من الزواج واستقامة العالم لا تكون ملذة الدنيا منقطعة؟

إنه يناجي الله سبحانه وتعالى في تضرع يائس ذليل يقول:" لا أكتمك بما أنت به عليم إن أسفي على الدنيا طويل"

[1]- الديوان، مج1، ص47.

[2]- الديوان، ص182

ويعزّي نفسه عما فاته بما يمكن أن يتحقق في الدار الآخرة، ومن مزج رضا به بذكر الله لم ييأس من رضاب الحرم.

إذن فالسّر رهن بآلة الحياة التي بدونها كان الزهد في الحياة، والتفكير في الانتحار، إنه يعزّي نفسه بأنه لو كان مؤذيا لها لثقل عليه أمرها لأن للمرأة تبعات لا يستطيع أن ينهض بها، وحسبه أنه لا يجد القدرة على الإشباع وهو بهذا الجسم الضعيف الذاوي لهذا يفضل الصبر على الدخان، بدلا أن يكتوي باللهيب.

لكن الدخان يحرق العيون، ويكتم الأنفاس وما أدّق تفسيره لآلام الصدى وسعيه في طلب الري حتى إذا كان على مد اليد انقطعت)[1].

وقد عبّر عن ذلك في كتابه" الفصول والغايات": (إنما أنا كرجل بلي وبالصدى- العطش- لا يجد وردا ولا موردا، فهو ضمآن أبدا، إن ورد غروفا- بئر يؤخذ منه باليد- وجده مصفوفا - كثر وريده- إن صادفت تروعا- بئر ينتزع منها الماء- أعوزته الآلة والمعين، فبينما هو كذلك هجم على رجل ينزع بغرب، فشكا إليه فرط الكرب فقال:" ربّك إن شاء الله قريب فأعني على انتزاع المروية، فكلما كان الغرب بحيث يريان، غدرت الوذم- عرى الدلو أو السّيور- وخان العناج- الحبل يشد على خشب الدلو أو شد من تحته ليقويه)[2]

وكثيرا ما تحدث المعري عن النقص لذلك تدرس طبيعة نفسيته من خلال شعره، يقول:

أَشْهَدُ أَنِّي رَجُلٌ نَاقِــصٌ لَا أَدَّعِي الفَضْلَ و لَا أَنْتَحِلْ

جِئْتُ كَمَا الّذِي صَاغَنِي و مَنْ يَصِفُنِي بِجَمِيلٌ يُجِــلْ[3]

وقال أيضا أنه لو كانت على علم بان أولادي سيكونون خير الناس لما سمحت ولادتهم فكيف وأنا على يقين من أن حقير مثلي لا يلد إلا حقيرا كأبيه:

لَوْ أَنَّ بَنِيَّ أَفْضَلُ أَهْلِ عَصْرِي لَمَا آثَرْتُ أَنْ أَحْظَى بِنَسْــلِ

فَكَيْفَ وَ قَدْ عَلِمْتُ بَأَنَّ مِثْلِــي خَسِيسٌ لَا يَجِيءُ بِغَيرِ فَسْلِ[4]

---

[1]- ينظر : كتمل سعفان: في صحبة أبي العلاء بين التمرد والانتماء، ص168- 169.

[2]- المرجع نفسه، ص169.

[3]- الديوان، مج2، ص259.

[4]- الديوان، ص234.

خاتمـــة

الخاتمة:

يعتبر هذا البحث رحلة مختصرة في حياة أبي العلاء المعري، وقد اعتمدت ديوانه اللزوميات من أجل كشف معالم شخصيته و نفسيته خاصة.

و تم استخلاص بعض النتائج يمكن إيرادها في ما يلي:

1-تميّز أبو العلاء بخيال خصب و ثقافة واسعة ، إلى جانب ذلك فهو صاحب حس مرهف و عاطفة جياشة و ملكة شعريّة فذّة.

2-عاش المعري في كنف أسرته و تحت رعايتها فوفرت له المناخ العلمي الملائم. وكانت له موهبة شعرية منذ الصغر، و من أبرز سماته الشخصية أنه شاعر حكيم عارف بأمور الدنيا و أحوالها ، تميز بذكاء فريد ، و ذاكرة جيدة الحفظ، يعتبر من ضمن فحول الشعر العربي، آمن بالعقل و الفكر، صادق مع الناس و مع نفسه.

3-اختار أبو علاء العزلة بعدا عن الناس و برءا من سقامهم، فكانت له آراء كثيرة في الدين والدنيا.

4-يعتبر ديوان اللزوميات من أروع ما قيل في الشعر العربي من حيث الدقة و الجمال و قد ألبسها ثوب السخرية اللاذعة والدعابة القاسية، و من الدارسين من يعتبره فيلسوفا ومنهم من ينفي ذلك، فمصطلح الفيلسوف و الأدبي و العالم في مفاهيم مبهمة، لكن هناك من قال بأن المعري من صفات الفلاسفة التشائم، و هذه كما قالوا هي من صفاته، لكن من سماته أيضا الشك و هذا ما تنفيه الفلسفة، لذلك فإن السؤال يبقى مطروحا: هل أبو العلاء شاعرا أم فيلسوف؟

5-عان أبو علاء من عقدة الفقر، و ذلك ما يكشفه شعره اللزوميات، فكثير ما تمنى ان يعطي المحتاج لكن فقره و حاجته حالت دون ذلك.

6-إضافة إلى هذا عاش و هو يعاني "عقدة الحرمان" فقد حرم الأب و الأم، و أكثر من ذلك فإنه حرم نعمة الإبصار التي كشفت عن عقدة أخرى و هي عقدة النّقص ويظهر ذلك جليّا في شعره، فقد كان لعماه أثر بالغ في نفسيته، و هذا كان سببه المجتمع الفاسد الذي يحيط به، و الذي جعله دائما يحس بالنقص و هذا ما ولّد لديه

عقدة التفوّق أو حب التّظاهر، فقد تحدى كل الشعراء فكانت "لزومياته" فكانت من الشعر الصعب الذي لم تستطع قريحة أن تجود بها كما جاءت بها قريحة المعري فقد نظم ديوانا ضخما في كامل الحروف العربية، لكن تبقى هذه الشخصية غامضة فهي تحتاج إلى كثير من الدراسة.

المصادر والمراجع

المصادر :

1- أبو العلاء المعري: ديوان اللزوم وما لا يلزم في العظة والزهد و ذم الدنيا تحقيق كمال اليازجي.دار الجيل.بيروت.2001.

المراجع:

1-أمين الخولي.أمين إبراهيم عبدا الباقي عامر اسماعيل يوسف الخولي، احدتهم الفكر و الثقافة في مصر.

2-تغريد زعيميان: الآراء الفلسفية عتد أبي العلاء و عمر الخيام.الدار الثاقفية للنشر القاهرة ، ط1، 2003.

3-حنا الفاخوري. تاريخ الأدب العربي . بيروت . لبنان. ط10 . 1980 .

4-الخطيب التبريزي: الكافي في العروض و القوافي. تحقيق الحسّاني حسن عبد الله مكتبة الخانجي . اللقاهرة. ط4، 2001.

5-ربيع محمد شحاتة: تاريخ علم النفس و مدارسه. دار غريب. القاهرة. القاهرة 2004.

6-طه حسين. أبو العلاء المعري. حياته و شعره. دار النفيس.

7-طه حسين: مع أي العلاء في سجنه . مج10، دار الكتاب اللبناني، بيروت ط1 1974.

8-طه حسين: تجديد ذكرى أبي العلاء، مج1، دار الكتاب اللبناني، ط1 ، 1974.

9-شايف عكاشة: اتجاهات النقد المعاصر في مصر، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1985

10- شوقي ضيف: الفن و مذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف، ط2.

11-عباس محمود العقاد، الأدب و النقد، مج24، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة مطالعات في الكتب و الحياة، ط1، 1983.

12-عباس محمود العقاد، رجعة أبي العلاء المعري، منشورات المكتبة العصرية بيروت، صيدا.

13-عبد العزيز الميمني الراجكوتي: أبو العلاء و ما إليه و يليه رسالة الملائكة لأبي العلاء المعري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003.

14-عبد الله العلايلي: المعري ذلك المجهول رحلة في فكره و عالمه النفيس، دار الجديد، بيروت، لبنان، ط3، 1995.

15- كامل سعفان: في صحية أبي العلاء بين التمرد و الإنتماء، دار الأمين، ط1 1993.

16-كمال اليازجي: أبو العلاء و لزومياته، دار الجيل، بيروت، ط2، 1997.

17- مصطفى غالب في سبيل موسوعة فلسفية: أبو العلاء المعري "منشورات دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، 1995.

18- محمد عبد الرحمان مرحبا: من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الاسلامية، ديوان المطبوعات الجامعية، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط3، 1983.

19-محمد مصطفى الشعبيني: مقالات في علم النفس، المكتبة المصرية، القاهرة 1963.

20- محمد فروح: تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط3.

21- نادر موسى: أجمل قصائد أبو العلاء المعري، دار النشر للنشر و التوزيع عمان، الأردن، ط1، 2007.

الفهرس

فهرس الموضوعـــــات

مقدمة.....أ

تمهيد: أبو العلاء المعري (النشأة و الثقافة).....4

الفصل الأول: اللزوميات المفهوم و المصطلح

1-التعريف العروضي للزوم وما لا يلزم.....من12إلى17

1-القافية.....12

2-أنواع القافية.....12

2-1 قافية مطلقة.....12

2-2 قافية مقيدة.....13

3-لوازم القافية.....13

1-الروي.....13

2-التأسيس.....13

3-الردف.....14

4-الوصل.....14

5-الخروج.....15

6-الدخيل.....15

4-عيوب القافية.....16

1-الإقواء.....16

2-الإطاء.....16

3-السناد.....17

4-التضمين.....17

2-تعريف أبي العلاء لكتاب "للزوم وما لا يلزم".....من19إلى24

3-أسلوب أبي العلاء في ديوانه.....25

الفصل الثاني: دراسة نفسية في لزوميات أبي العلاء

1- تأثير المجتمع في نفسية أبي العلاء.....28
2- تأثير العمى في نفسيته.....37
3- نظرة المعري إلى المرأة.....44

الخاتمة.....57

قائمة المصادر المراجع

الفهرس